الطبعة الثانية

عثمان حسين

كانت لنا أيام

نادر أحمد الشريف الحبيب

الشاعر حسين بازرعة

كانت لنا أيام

ذكريات

مع المطرب عثمان حسين

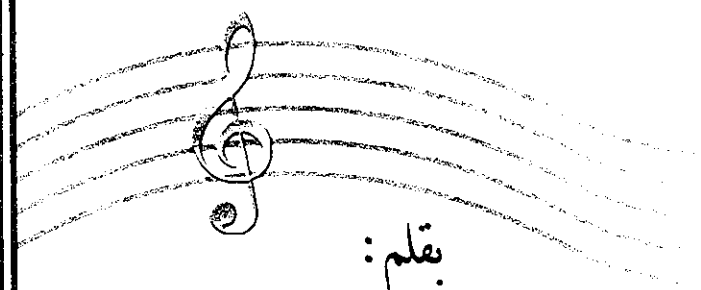

بقلم:
نادر احمد الشريف الحبيب

الإهداء

إلى أبنائي عزة و محمد

مقدمة الطبعة الثانية

تأتي هذه الطبعة الثانية وبيننا الشاعر الكبير حسين بازرعة الذي كان مغترباً في المملكة العربية السعودية لمدة (39) عاماً حيث كان يعمل في إحدى الشركات السعودية في مدينة جدة .

سعدت بلقاء الشاعر حسين بازرعة مرتين ، إحدها عند ما حضر إلى الخرطوم لمناسبة عائلية وهي زواج ابن أخته والمرة الثانية كانت في بورتسودان. كان الحديث شيقاً في كلا المناسبتين . لازال حسين بازرعة يسترجع الذكريات القديمة بسرعة ويعقد المقارنات بين ما كان في الماضي وما يحدث الآن . أكيد حدثت تغيرات كثيرة في السودان خاصةً في فترة غيابه بالمملكة . فقد ذكر لي بأنه كان يزور السودان سنوياً حتى عام 1967م وبعدها لم يأتي إلا نهائياً في السنة الماضية . إنه لا زال ذلك الشاعر الملتزم نحو قضية الوطن ، وهو شاعر وطني غيور يحب وطنه حتى الثمالة .

أخي القارئ حاولنا هنا في الطبعة الثانية تفادي كل السلبيات والأخطاء التي حدثت في الطبعة الأولى وأدخلنا بعض الأبيات الجديدة كإضافة للقديم وكشئ مكمل لجماليات فن عثمان حسين .

لا زالت تجمعنا أوقات السمر في منزل صديقنا الأستاذ الكبير عثمان حسين (متعه الله بالصحة والعافية) وهو لا زال ذلك الشخص الكريم الذي يحب الناس ويحبونه ولا زال يبحث عن الأصوات الجديدة في الساحة الغنائية فهو صاحب نظرة وخبرة في الأصوات وإمكانياتها ، فعثمان عنده أغنيات ملحنة وجاهزة ولكنها تحتاج إلى أصوات بمواصفات معينة وهو لا زال يبحث عن المؤدي المناسب .

لا زالت الإمكانات المساعدة لإنتاج أي كتاب صعبه جداً وتوجد مشاكل فنية كثيرة يجب معالجتها حتى تستطيع أن تحصل على الطبعة المناسبة . لا زالت أطبع كتبي في سوريا لأن سمة مشاكل في المطابع السودانية ، ولذلك تأخرت هذه الطبعة في التوزيع لبعض الوقت نسبةً لإجراءات في الشحن والتخليص والنقل وغيره من الإجراءات الأخرى .

أخيراً شكري كثيراً للأخ الأستاذ عثمان حسين للوقت الذي ناقشنا فيه كثيراً من المسائل التي تهم الكتاب وكذلك شكري كثيراً للأستاذ حسين بازرعة لتقديمه الطبعة الثانية التي إختطها بخطه الجميل وهو موقناً برسالة الفن في المجتمع وما يستطيع أن يقدمه الفن من ترقية للسلوكيات العامة وبالتعامل عبر المشاعر السامية النبيلة .

وكذلك شكري لكل الذين اسهموا في إخراج هذه الطبعة من تصميم للغلاف الجديد بواسطة الفنان التشكيلي الكبير الطيب البشير محمد الخير وللطابع الممتاز الأخ أحمد عمر البادرابي الذي قام بإعادة طباعة النص على الحاسوب .

ولا زالت أقول إنني دائماً أسعى إلى الكمال فيما أؤديه ولكن هذا مستحيل ولكني أقدم بقدر إستطاعتي وأتمنى أن يجد هذا العمل الإستحسان من الناس. لا زال هدفنا من هذا العمل وهو التوثيق للفن الغنائي السوداني في شخص رموزه من كبار الفنانين حاديين الركب وعثمان حسين منهم ومن مؤسسي هذه المدرسة الحديثة التي لا زالت تسيطر على الساحة الغنائية السودانية ، فهذه الأغاني برغم قدمها لا زالت في رونقها وشبابها وتسيطر على الساحة السودانية .

أرجو أن أكون قد وفقت فيما أصبو إليه واعتذر عن الأخطاء الغير مقصودة واتمنى أن ينال هذا الكتاب رضا القارئ الكريم .

نادر أحمد الشريف الحبيب

الخرطوم في 2008/4/5م

الشاعر حسين بازرعة

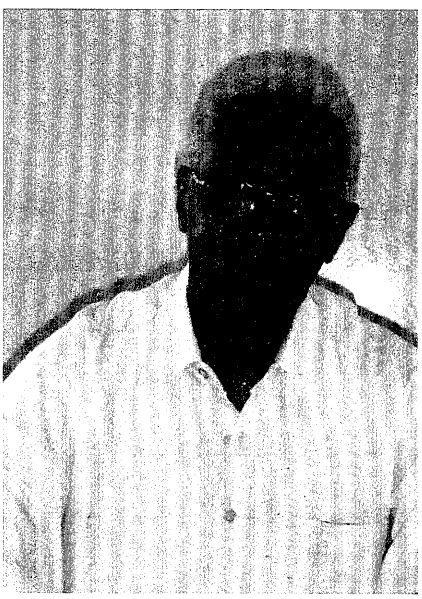

الشاعر السر دوليب

الفنان / عثمان حسين

(الصديق ... والنغم ... والإنسان)

الشاعر / السردوليب

العام 1949 و المشهد فناء مدرسة وادى سيدنا الثانوية التى تقع على ضفة النيل الغربى شمال أمدرمان بمبانيها العتيقة وميادينها الخضراء وناظرها الأرستقراطى (مستر لانق) والاساتذة الوطنيون ذوى التأهيل العالى و طلابها النجباء الذين استطاعوا الوصول إليها بعد جهود أكاديمية و منافسة حادة ليصبحوا ضمن الصفوة البالغ عددهم 360 طالبا. والذين تم إحضارهم من كافة أنحاء السودان ليقسموا على ثلاثة مدارس هى وادى سيدنا و حنتوب و خور طقت.
تلاميذ أذكياء يدفعهم الذكاء الى التطلع و التقدم و النهم الى المعرفة و الاستزادة لذلك الذى تعلموه فى المرحلة الوسطى من روائع الأدب شعرا أو نثرا من أساتذة فى قامة الشيخ حسن أحمد و الشيخ الخاتم والشيخ عبد أللة عبد الرحمن، الشيخ البناء ، والأستاذ سامى عبد الله و غيرهم من أساتذتنا الأدباء الكرام. فقرأنا للمتنبى وشوقى وشعراء المهجر و حافظ والبارودى والأخطل الصغير و نزار قبانى و لشكسبير و لبرناردشو .

وأستمعنا الى موسيقى موزارت و بتهوفن فى غرفة الموسيقى فى الجناح الشمالى لمدرسة وادى سيدنا التى يديرها طالب فى السنة الرابعة هو السراج. وشاهدنا أفلام السينما الغربية و أستمعنا الى موسيقى بنق كروسبى و الافلام المصرية لعبد الوهاب و فريد الاطرش و أم كلثوم.

جيل مثقف يتفتح على حضارات جديدة هدفه تغيير المجتمع وفقا لما أكتسب من معارف فى مختلف المجالات، يسعى لإدخال الجديد المبتكر و تغيير القيم والعادات السلبية القديمة بالمشيئة الفاعلة للانسان عن طريق الفن بدلاً من الإعتماد على تلقائية التطور. و بهذا المفهوم و من خلال هذا الجو العبق ثقافياً ، و الترف فكريا تعرفت على الطالب حسين بازرعة الذى كان يقرض الشعر و يحمل كراسة إسمها " البراعم" تصم باكورة إنتاجه آنذاك و كان فى الصف الثانى و أنا

فى الصف الأول و قد تغنى له فنان جديد يشق طريقه بين الكبار بذكاء هو عثمان حسين. وحسين بازرعة القادم من بورتسودان كان شاباً وسيم الطلعة حلو الحديث و المعشر له مهارات متميزة فى كرة القدم و تنس الطاولة و كنت أشاركه نفس الهوايات و المهارات و كان اللقاء و الصداقة التى كان محورها عثمان حسين و أنا لم ألتق به حتى تلك اللحظة إلا من خلال أغنيات تعد على أصابع اليد تبثها الإذاعة من حين لأخر (غرد الفجر، القبلة السكرى، كيف لا أعشق جمالك).

ثم أنتقلت إلى مدرسة خور طقت الثانوية فى غرب السودان نقلة ذات أبعاد بيئية من خضرة الوادى الى رمال الصحراء و من إنسياب النيل إلى شح المياه و كانت صدمة حضارية شكلت لنا نحن- أبناء البحر- القادمون من أمدرمان كما سمانا الزملاء أبناء الغرب شكلت تحدياً إجتزناه بعلاقات حميمة و روابط فكرية وثقافية عميقة الجذور هى التى ميزت خريجى خور طقت دون غيرهم من التلاميذ . تحزب بعضنا فكرياً و سياسياً و تحزب البعض الآخر ثقافياً و فنياً فكانت هنالك مدرسة حسن عطية يرأسها الطيب حميدة الزعيم ومدرسة أحمد المصطفى ويرأسها مختار التوم و مدرسة جديدة تحاول أن تجد لها مكاناً تحت الشمس بين العمالقة وهى مدرسة الفنان الذى غنى "الفراش الحائر" ضمت هذه المدرسة السر دوليب ، وأبناء السجانة حيمورة والسر آدم سابل و كانت أغنية " الفراش الحائر" هى التى مكنت لمدرستنا أن تفتخر و تتباهى حيث أن الأغنية كانت فتحاً جديداً لتوظيف الموسيقى و ألإيقاع و اللزمات ذلك الأسلوب الذى ميز أغانى عثمان حسين عبر إنتاجه الفنى الثر حيث جعل الشعر يرقد مرتاحاً فى وسادة من النغم الوثير دون ضجة أو صراخ أو هزة أو خلل يحيط بالتطريب المتجه الى أعماق الإحساس والوجدان.

هذا هو عثمان حسين الذى أعجبنا به و حلقنا حوله و ذهبت اليه فى- السجانه- معجباً زائراً فاستقبلنى بترحاب و بشاشة فى ذلك المنزل العتيق وفى غرفة جلوسه التى شهدت روائع النغم فعرفت عثمان حسين أكثر و علمت انه جاء من الشمالية شاباً يافعاً أخذ من تلك البيئة حذاء السواقى، و شموخ النخيل وفصاحة اللسان و لكنه لم يغنى لنا بلكنته الشايقية و لم يحتضن ربابة أو طنبوراً. فقد أراد

منذ البداية أن يصبح فناناً شاملاً للسودان الواسع و ليس لبيئة محدودة و إلا لما أصبح هو عثمان حسين الذى نحتفل به اليوم. وتوالت الزيارات و تعرفت من خلالها على العازفين من حى السجانة ، حسن بابكر ، عبد الله عربى ،عبد الفتاح الله جابو. ولم يعرف عثمان حسين أننى أكتب الشعر الغنائى إلا من خلال الحدث الطريف لأول أغنية تذاع لى عبر المذياع من قبل الفنان الراحل عثمان الشفيع (اللون الخمرى و الخد الزهرى) فلم يكن الشفيع يعلم بمؤلفها إلا عندما حضرت إليه و قرأت له الخطاب السرى الذى حوى القصيدة دون توقيع فعلم عثمان حسين بموهبتى و قدرتى على كتابة الشعر الغنائى و قال لى لما لا تكتب لى شيء أغنيه و أنت الصديق و المعجب ؟ فماذا أكتب؟ فقد كتبت أغنية اللون الخمرى رفضاً ومناهضاً لنوع من الغناء الهابط السائد آنذاك و الذى لم يخرج من غناء (التم التم) الذى جاءت به (التومات) من كوستى وأستمر يجذب الشباب بايقاعاته و كلماته العفوية فلم ينشغل الكثيرون بأغانى الحقيبة التى إنحسرت أمام المد الايقاعى بموسيقى (التم التم) فاخترت لنفسى بأن يكون لى دور وإسهام فى ترقية هذا الغناء الهابط و إستبداله بأغانى خفيفة بديلاً (للكسرة) التى كانت ترافق الأغنية الكبيرة ولم يألفها عثمان حسين فتصبح أغنيتى الجديدة أغنية متكاملة تحوى فكرة جديدة وتقبل هندستها الشكلية إحتمال إيقاع جديد متنوع لعثمان حسين من خلاله منافسة الكسرات التى كانت شائعة آنذاك وتساند أغانى حسين بازرعة الطويلة القصصية المثيرة (كالقبلة السكرى، والوكر المهجور، و النجم والمساء و نادانى غرامك) فخرجت بنمط جديد و مخاطبة شعرية لم تكن مألوفة آنذاك بأغانى (داوم على حبك، مابصدقكم،قلبى فاكرك،مسامحك ياحبيبى، ريدتنا ومحبتنا ، أروينى أروينى، مالى والهوى ،أنا وحدى طول الليل).

غمر عثمان حسين تلك الكلمات بألحانه العذبة وموسيقاه الرائعة المتنوعة وشكل لها صورة متماسكة للأغنية الخفيفة الجديدة وأصبحت فى نظرى هى الأغنية الحالية قصيرة تحتمل الإيقاع الراقص و اللحن المعبر و تحمل بين طياتها فكرة و قصة متكاملة لها بداية و نهاية. مهد هذا الشكل الجديد للأغنية لشعراء آخرين ليسيروا على هذا النهج فأمدوا عثمان حسين بهذا النوع المبتكر ،كعوض

أحمد خليفة ، حسين عثمان منصور الذى هاجم أغنية " قلبى فاكرك" فى مجلته "الصباح الجديد" فقال عنها أن عثمان حسين جاء بأغنية تذكره (بعلبة ألوان الموية) (يا نضارى و أخضرارى يارييعى و أزدهارى و ناسينى و إنت دارى بالعذاب الأنا فيه) و لم يسلم بازرعة أيضاً من النقد و قد قال عنه حسين عثمان منصور أنه (باسرقة) لتطابق بعض كلمات قصائده مع قصيدة شاعر لبنانى لا أذكر أسمه. كل هذا النقد يقودنى أن أذكر أن طريق عثمان حسين لم يكن مفروشاً بالورد و الرياحين، بل لقد تابعناه وسرنا معه رحلته الشاقة المثيرة كفنان يتحسس طريقه و أمامه غناء الحقيبة بروعته و خلوده و يرافقه أيضاً غناء عباقرة الأغنية الحديثة حسن عطية و أحمد المصطفى و التاج مصطفى و عبد الحميد يوسف الذى كان عثمان حسين عازفاً للعود بفرقته. ولكن عثمان حسين ظل يتمسك بأسلوبه وخطه الذى رسمه لنفسه مثابراً مجدداً يستخدم المقدمات الموسيقية ويحدث فى اللحن تطريباً يهز الوجدان ويداعب العواطف بصوته العذب ، حدث كل ذلك فى أغانيه وخاصة فى قصيدة (محراب النيل) للشاعر التيجانى يوسف بشير و قد قال عنها خالد أبو الروس ناقداً (لو كان التيجانى حياً لكان له مع عثمان حسين شأن آخر) فى نظرى قد كانت تلك مجرد غيرة فنية من مبدع لم يتمالك نفسه و لم يوفق فى التعبير. فستبقى "محراب النيل" رمزاً للاغنية الحديثة المتكاملة شعراً ولحناً وموسيقى معبرة عن معانى خالدة كالنيل (فتحدرت فى الزمان و أفرغت على الشرق جنة) . فسار عثمان حسين فى طريقه الذى أعده لنفسه ولم يهتم بالنقاد بخطى متئده و بحرص شديد كى لايفقد جمهوره المميز الذى عوده على أعذب النغم و أحلى الكلام ساعدته فى ذلك عدة عوامل منها:

أولا: فقد تجمع حوله نخبة من الأصدقاء المثقفين المخلصين والمبدعين كحسين بازرعة و أبو عاقلة يوسف والإذاعى الدبلوماسى صلاح أحمد محمد صالح مؤلف أغنية "مات الهوى" و غيره.

ثانيا: إختياره الدقيق و بذكاء وفهم عميق للكلمات التى تناسب ذوقه وحسه وتستجيب لها أوتار عوده الرنان. وهذه موهبة لا يتمتع بها الكثير من أصحاب

الأصوات الممتازة فى تلك الفترة فى الخمسينيات والتى سُميت بالمرحلة الذهبية للغناء السودانى.

ثالثا: تميز بتوظيف محكم بالموسيقيين العازفين الذين زاملوه فى مسيرته الموفقة إعجاباً منهم به لإهتمامه بالجانب الموسيقى المميز للأغنية والذى يجدون فيه ما يريح أنفسهم و يحرك مواهبهم ليبدعوا ويحسنوا ويضيفوا أمثـــال حسن بابكر، وعبد الفتاح الله جابو.

رابعاً: شعراء الشباب من المعبرين عن تطلع جيلهم و الملتزمين بالتقدم و التغيير و التجديد و البحث الحضارى و التطلع إلى النهضة الجديدة الفنية التى عمت العالم . لقد إستفاد من عباقرة الحقيبة كمحمد البشير عتيق فى "حارم وصلى مالك" وعلي محمود التنقارى فى أغنية " كيف لا أعشق جمالك" ولكنه أدرك بذكائه وحسه الفنى ان لابد من الجديد فى الفكر وتنويع المعانى الغنائية ، فالتقى بالمجددين فى هذا المجال فالتزمنا به فتكونت ثنائية عثمان حسين وحسين بازرعة وهى أكثر الثنائيات نجاحاً فدخل عليها السر دوليب فاصبحت ثلاثية لحين من الزمن قبل أن تفرق بيننا عوامل الهجرة و الأسفار فتقدم عوض أحمد خليفة لسد الثغرة بعذب الكلام "عُشرة الأيام" و محمد يوسف محمد " الدرب الأخضر" .

خامساً: ظل عثمان حسين مستمعاً و متذوقاً للأدب والشعر والجمال والفن يتلهف لإستماع الجديد بعد أن هضم القديم و أصبح جزءاً من شخصيته .يعشق الطرب والتلاشى فى النغم والسياحة فى الخيال.

هذا هو عثمان حسين الصديق و الفنان الذى أدخل الجديد المبتكر على فن الغناء فى السودان،المقدمات الموسيقية المعبرة،و الألحان التصويرية ، الأغنية الطويلة الموزعة والموزعة والقصيرة الإيقاعية.أحسن إختيار الكلمات بذوقه الفنى السودانى الأصيل عمل فى هدؤ و مثابرة لم يتعالى و لم يتباهى و لم يصرح فى الصحف و لم يهاجم أحد ولم يرد حتى على النقاد الذين هاجموا أسلوبه المتطور المتميز.

غنى لى و لغيرى (فطرز) أسماء من تغنى بشعرهم بخيوط حريرية ذهبية على خارطة فن الغناء السودانى، نجح و نجحنا معه نلنا عبر غنائه التكريم من

المجتمع و من الدولة (وسام الآداب و العلوم و الفنون و جائزة الدولة التقديرية فى الإبداع الفنى و الشعبى) أطال الله فى عمره و متعه بالصحة و العافية و إن تكريمه الحقيقى هو بالمحافظة على تراثه و نشره و توثيقه لكى يصبح جزءاً من مقررات معهد الموسيقى ، فعثمان حسين هرم شامخ لن يتكرر و رمز قومى نفخر و نعتز به ... أطال الله فى عمره وأدام عليه الصحة و العافية.

الخرطوم فى 2003/7/24

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

لعل الدوافع التي تحتم على الشخص كتابة مثل هذا الكتاب الاجتماعي كثيرة ولكن أهمها هو الدافع الشخصي فكتابة السيرة الذاتيه أو الفنية لشخص معين تعني حب الكاتب للشخص وفنه والذي هو من أقوى الدوافع لإخراج مثل هذا العمل. والتى هى أيضاً تجسيداً و عرفاناً للشخص الذى كُتبت سيرته. فعثمان حسين وفنه يعتبران عندى سيرة وذكريات قديمة في الاستماع لهذا الفن الراقى ، متمثلاً في شخصٍ يُمثل القيم السودانية الاصيلة ومبدع أصيل عبَّر عن تراثنا الغنائى بأعمال خالدة. فقيمة عثمان حسين الاجتماعية كبيرة وله عشاق ومستمعين ومعجبين بحسب درجات تذوقهم لهذا الفن.

كانت رحلة الاستماع الى عثمان حسين طويلة ، إمتدت من زمن الصبا الباكر في الخمسينيات واستمرت الى يومنا هذا. وأجدُ حلاوة ومعاني متجدده عند السماع لهذه الاغاني كلما مرَ الزمن، بل تحملُ هذه الاغاني ذكريات لا يمكن أن أنساها. فكثير من زملاء الدراسة وأصدقاء لهم ذكرى عطره فى نفسى كانوا يشاركونني الاستماع والاستمتاع بهذا الفن الراقي. فكل اغنيةٍ غناها عثمان لها أثراً بعيداً في حياتى وذكرى لا تنسى على مدى حقب العمر المختلفة.

وفن الغناء والموسيقى في حد ذاته تراث أمة والتراث الفني لا ينفصل أبداً من تاريخ أي أمة بل يحكى التطورات الإجتماعية سابقاً من خلال هذا التوثيق . فالاغنيات السودانية هي مجموعة هائلة من ذكريات لأجيال متعدده جمع بينها هذا التراث والارث الذي ولّد الارتباط بتراب هذا البلد وقيمهُ وتقاليده وازال كل الفوارق العرقية والقبلية وصهرها فى بوتقة الذوق.

هذا الكتاب قصدتُ به أساساً معجبي عثمان حسين والمهتمين بفنه، ولعل رابطة المستمعين لعثمان حسين تُعدْ من أكبر الروابط الفنية وأكثرها إلتزاماً – فهم غالبا ما يمتازون بالاستماع الجيد والتمعن في الكلمات واللحن وهم كثيري الصمت لأن أغاني عثمان تفضح العواطف وتهز الوجدان، فأكثر ساعات استماعهم لأغاني

عثمان يغلبُ عليها الوحده المطلقه و التأمل. والآن أكثرهم من المتصوفة والـذين سيقتنون هذا الكتاب ويقرأونه في صمت ويغوصون في سبر اغـواره سـيجدون بعض الحقائق عن هذه الاغاني والتجارب الصادقة التي اتت بهذه الاعمال الكبيرة التي أخذت من الزمن أكثر من نصف قرن متصل بالاحداث و المناسبات، بعـض شعرائه فارقوا هذه الدنيا وتركوا لنا ما نتمعن فيه بعدهم واطال الله عمر من بقـى وتبقى كثيراً من الاسرار حبيسة في النفس وانا في كتابتي لهذا الكتاب اتذكر كثيراً من أصدقائي الذين شجعوني على الكتابة وأذكر منهم الاخ الصديق الشاعر محمـد يوسف موسى ، ابن حى العرضة، الحي الذي نشأت فيه في امدرمان، وهو مـن كبار اعضاء الرابطة وشعرائها ومن المعجبين بغناء عثمان حسين ولعل قـصيدته "الدرب الأخضر" تعتبر من أروع ماغنى بها عثمان حسين للشاعر محمد يوسـف موسى.وايضا أذكر منهم هنا الصديق الوفي بدري محمد عباس (الـزعيم) الـذي ينضح حباً في ما قدمه عثمان حسين وشجعني كثيراً على المواصلة عندما ينتابنى الكسل فى بعض الأحيان وايضا أذكرُ فى هذا المجال زملاء الدراسة في المرحلـة الثانوية د. المعز التجاني عبد الحليم ومحمد البشير محمد على والمرحوم الصادق ربيع ود. حسن المنقوري وأصدقاء منهم الشاعر ابو آمنه حامد وعبـد الـرحمن حسن عبد الحفيظ و كثيرٌ من الأصدقاء والذين لا يسع المجال لذكرهم ومـستمعي عثمان حسين الذين لا استطيع ان أحصرهم لكثرة عددهم ولهم مني تحيه خالصة ، فهم شاركوني الاعجاب بهذا الفن الراقي. ورغم انه تفرقت بنا السبل واغترب منا من اغترب ولكن تبقى لنا الذكريات وهي صادقه ونبيلة وحبيبة الى النفس ، ولهـم ثانياً عاطر تحياتي وتمنياتي لهم بالصحة والعافية على امتداد العمر وان يذكروننا كلما استمعوا الى عثمان حسين كما سنذكرهم ايضا حين الاستماع لهـذه الاغـاني ونبكي على الديار القديمة كلما مرَّينا بها لأنها لا تزال رمزاً للحب والوفاء للبلـد والصداقه ولأجمل الايام مروراً بكل فترات العمر وذلك الـزمن الجميـل الـذي انقضى ونحن نشاهد هذه الاطلال في مدينتى أم درمان والخرطـوم بمنتـدياتهما المختلفة ، وهذا هو الذي الهمني باسم هذا الكتاب " كانت لنا ايام" و التى هى أيضاً مقطع من أغنية عثمان حسين "الوكر المهجور".

سيمرُ هذا الكتاب على مراحل متعدده من تطور الاغنية السودانية وسألقي الضوء على هذا التطور الفني حتى نصل الى مرحلة عثمان حسين وبيئته الفنية أو فيما يسمى (بعصر الرواد) {رواد الأغنيهة السودانيه الحديثه} وكثيرٍ من القراء سيكونون من اجيال مختلفه، بعضهم عاصر هذه الاغاني في بدايتها وبعضهم استمع لها مؤخراً وبعضهم قد يكون من صاحب عثمان في مشواره الفني. كما كثر الحديث أخيراً في بعض الندوات الثقافية وفي اجهزة الاعلام، من نقاد وباحثين جدد على التراث الفني واغنية ام درمان ومحاولاتهم في تحليل هذا التراث ونسْب اشياء معينة قد تكون صحيحة الى حد ما ولكن تبقى الحقيقة كامنة في محاولات التوثيق و استجلاء الحقائق التاريخية لهذا التراث والملابسات المختلفة التي صاحبت تطور هذه الأعمال الفنيه الى هذا الزمن الذى نحن فيه الان. فالبحث والتوثيق بابه مفتوح.

يتخلل هذا الكتاب تحليل فني لبعض الاغنيات وقراءة بين السطور والمعاني لبعض المفردات والجمل التى وردت في بعض الاغنيات وهي قد تثير اهتمام البعض وقد تبدو غير مهمة للبعض ولكني آثرتُ ان امنح القارئ درجات من العمق والتمعن وخاصة للمهتمين بالنقد الفني او الدارسين للتراث، وهي ان يجدوا مادة علمية وأثر يغتقوه في مسارهم التوثيقى وخاصة نجد ان الأهتمام بالتراث الفني قد ازداد وتجلى في انشاء معهد الموسيقى والمسرح التابع لجامعة السودان وبه دارسون اكاديميون لهم اهتمامات دقيقة في الاغنية السودانية وموسيقاها مثل الأساتذة، الفاتح الطاهر وأنس العاقب والاستاذ الماحي وغيرهم. ولست أدعي الكمال في ما كتبت ولكنى حاولت بقدر الامكان تسجيل ما علق بالذهن و مستعيناً بالذاكره فى معرفة هذه السيرة التاريخية وكذلك استجلاء بعض الحقائق واخيراً وفي هذه المقدمة يجب ان اشكر كل الذين أسهموا في إخراج هذا الكتاب بالراي والتوجيه والذين كتبوا عن عثمان في الباب "بطاقة شوق من المعجبين" الاخ محمد يوسف موسى وعبد المطلب الفحل والاستاذ الشاعر حسين بازرعة والشاعر السر دوليب والاخ عبد الرحمن حسن عبد الحفيظ والشاعر عوض احمد خليفة ولا بد لنا هنا أن نترحم على روح الشاعرين قرشي محمد حسن وحميده ابو عشر، ذلك

الشاعر المناضل الذي عاش دهراً في نضال مع الحركة النقابية والزهد والتصوف والذي برغم ظروف الحياة الصعبه التي عاشها كتب لنا رائعة عثمان حسين " ظلموني الاحبة ". وأيضاً وعلى رأس الذين أسهموا الأخ الدكتور جعفر ميرغني زميل الدراسه والعالم بالتراث الفني السوداني لما قدمه من قراءة و تصحيح لنص الكتاب. وايضا الشكر موصول الى الأخ محمد وعبد الهادى اللذان قاما بطباعة النص في الكمبيوتر.

وفي ختام هذه المقدمة ابعث بشكري وتقديري للفنان الكبير عثمان حسين لما أولاه من رعايةٍ وتوصيات وتوجيه فيما كتبت وفيما ينشده من تجديد لهذا العمل فى الطبعات القادمةْ إن شاء الله وارجوا ان اكون عند حسن الظن حالياً و مستقبلاً و أن اكون قد اوفيتُ بالوعد الذي قطعته بنشر هذا الكتاب.

تطور الاغنية السودانية

عُرفتْ الأغنية السودانية الحديثة في بداية الحكم الاستعماري (الحكم الثنائي) الذي بدأ في عام 1898م بعد ان دخلت الجيوش الاستعمارية مدينة امدرمان حاضرة الحكم المهدوي وانتهى الحكم الوطنى (حكم دولة المهدية)،فقد كان الفن المعروف في فترة المهدية هو المديح والدوبيت وكانت الحياة حياة جهاد وحروب متصلة لم يحدث فيها استقرار اوشهدت اي حياة مدنيه متطوره. لم نجد شيئاً في التراث الفني يحدثنا عن الاغنية في تلك الفترة غير اليسير.فقد كان فن الغناء فى فترة الحكم التركي أكثرُ ثراءاً من فترة المهديه و كان قد ورد الذكر عن كثيرٍ من الأغانى عن مطربين و مطربات لعل من اشهرهم شريفه بت بلال التى كانت قد حازت على أوسمة ونياشين، فقد منحها لها الحاكم التركى عبد القادر حلمي باشا رتبة العقيد فى الجيش ذلك نسبةً لإسهامها فى رفع معنويات الجيش السودانى فى ذلك العهد.فقد أوردت الروايات أنه قد تم أسرها فى فترة المهديه واقتصر غنائها على بيوت الأفراح فى أمدرمان وأحياناً تغنى مادحه لماضيها إبان الحكم التركى :

هـــى يـــوهى　　شـــريفه بـــت بـــلال
هـــى يـــوهى　　بت العـــسكر القـــدام
هـــى يـــوهى　　شـــريفه بـــت بـــلال
هـــى يـــوهى　　بت العـــسكر النظـــام

وعندما أنتهى حكم المهديه ، ذُكر فى سيرتها إنها لبست لبسها العسكرى و أخذت معها فرقتها و معهم الطبول لمقابلة الجيش الفاتح مهنئة بفتح امدرمان.

لم يصلنا كثيراً عن مسيرة الأغنية السودانية فى فترة الحكم التركي غير بعض أغانى البنات التى كانت متداولة فى ذلك الزمن و التي أعطانا نماذج منها المطرب الباحث فى التراث، عبد الكريم الكابلي، مثل الآتي :

نـــاري و نـــاري أنـــا　　المهندس جا و رسم البنـــا

اللـــــه لي يـــا أنـــــــا

كذلـــك :

المـــــــــــوز روى	قـــــــايم ســـــــــوى
فـــــــاطرك ضـــــــوى	يا ناس أنا جسمي إنشوى

فهذه هى نوع الأغانى التى كانت سائده فى ذلك العصر.وهى غالباً ماتؤدى فى بيوت الأفراح ولها نوع خاص من الرقص. وذكرت المعلومات الوارده عـــن تلك الفتره إنتشار فن "الزار" وأغانيه وقد كانت منتشره أكثر فىمدينة واد مدنى و الخرطوم خاصة فى مجتمع الجالية المصرية المهاجرة الى السودان بحـــسبه فنـــاً قادماً من شمال وادى النيل (مصر). ولعل إيقاعات "الزار" تدل على مدى تأثر هذا الفن بالثقافة الإثيوبية.فنجد مثلاً كلمات مثل "يوسى" و " لولا الحبشية".ولعل الدليل على ذلك أن هذا الارتباط نسبةً لأمتداد الكنيسة الأرثوذكسية (القبطية).

فعندما بدأ الحكم الثنائي، شهد السودان نوعاً من الاســتقرار الاجتمــاعي وبدأ التخطيط العمراني للمدن ووفد كثيرٌ من اهل الارياف الى المدن بحثــاً عـــن الحياة الحديثة وللدراسة في المدارس التى أُنشأت حديثاً مثل كلية غـــردون التـــي انشئت عام 1902م- وأيضاً للبحث عن الوظيفة في المـــصالح الحكوميـــة التـــي أُستحدثت خدمةً للمستعمر فى أدارة البلاد. وكذلك نشطت التجارة من جراء هـــذا التوسع العمراني ونشط الاقتصاد بكل قطاعاته وبدأ التطور الاجتمـــاعي ظـــاهراً خاصة في مدن العاصمة- الخرطوم – امدرمان – الخرطوم بحري. صارت سمة الحياة الجديده طلب التعليم في المدارس بانواعها اكاديمية ام مهنية والسعي نحـــو الوظيفة الثابتة والحياة العصرية المستقرة.كما ذكرت سابقاً كانت الوظائف معظمها في القطاع الحكومي الذي انشئت كلية غردون التذكارية من اجله ، حتى تـــستطيع الحكومة ان تجد كادراً من الموظفين والمهنيين للمساعدة في تسيير شئون الدولـــة وهذا ما أدى لاحقاً الى قيام مؤتمر الخريجيين فى عام 1938.

كانت امدرمان العاصمة الوطنية للسودان ، والتي كانـــت ســـابقاً عاصـــمة السودان المستقل وحاضرة الدولة المهدية التي وفد اليها الناس من كل انحاء البلاد. ففي فترة الحكم الثنائي تم تخطيط المدينة باحيائها القديمة التي عُرفت بها والتي لها

دلالات على اسم القبيلة التى تسكنها، مثل حي الركابية وحي الرباطاب والمسالمة او بأسماء تدل على اسماء أمراء المهدية كحي ود ارو وأب روف وحى الامـــراء الذي يسكنه آل الخليفة عبد الله محمد تورشين خليفة الامام محمد احمـــد المهـــدي رحمهما الله وكذلك توجد بعض الاحياء سُميت بأسم الحرفيين ، كحي الدباغة وحي الحدادين، وفي الخرطوم نجد مثلا حي السجانة وهو الحي الذي سكن فيه معظـــم العساكر من السودانيون في عهد الاستعمار وبعض الاحياء كانت تـــسمى بأهـــل الحركات ورجال الصوفية كحلة الختميه ، وحلة خوجلي وحلة حمد في الخرطـــوم بحري و بعض أحياء العاصمة المثلثة القديمـــة كانـــت لهـــا اســـماء ذات دلالات تاريخية كبيت المال و بعضها كما ذكرنا آنفاً قد امها افراد من القبائل الـــسودانية المعروفة.

في هذه المدن تم صهر الثقافات السودانية المتعددة الجذور وخرجـــت لنـــا ثقافة المدينة وخاصة مدينة امدرمان.

هذا التمازج القبلي في امدرمان كان البيئة التي خرجت منها وتكونت اغنية امدرمان و التي كان يطرب لها كل أهل السودان- المميزات الهامة لهذه الاغنيـــة هي اللهجة السائدة في امدرمان وهي لهجةٌ يفهمها السودانيون ، زائداً الايقاعـــات السودانية الاصيلة ، مثل إيقاعات الدليب والمردوم والنقرزان . لغـــة امـــدرمان الدارجة كانت بسيطة فهى سهلة للتخاطب و نظم الشعر القومى.فهى لغة تلائـــم ظروف حياتنا وبيئتنا ، سمتها الغالبه هى العربيه او العربية المتأقلمه كما ســـماها البروفيسر عون الشريف قاسم ولكننا ورثنا بجانب ذلك قـــدراً كبيـــراً مـــن آثـــار الحضارات الغير عربية و التى سبقت دخول العرب الى السودان، وأمتزجت كـــل هذه التيارات و العناصر المختلفه بحيث أصبح من الصعب إطلاق أى إسم آخـــر على الناتج النهائى غير إنه سودانى. ومثالاً لذلك مظاهر "العرس" ســـنجد اللغـــه العاميه المستعمله هى العربيه ، كاللعقد، و الحنه و الضريره ، وكـــذلك كلمـــات نوبيه مثل، الجرتق،البرش والسوميت. وكما ذكرت سابقاً بأن الفـــن الـــذي كـــان معروفا في المهدية هو فن الدوبيت والمديح وهما لهما مميزات الريف ولأن هذان اللونان من الفن آتيانِ من الريف، من الجزيرة او شمال السودان فإن حياة امدرمان

الاجتماعية كانت تحتاج الى لونية خاصة من الأداء الغنائى لما بها من المناسبات التي تحتاج الى شيئ يناسب الذوق العام، وهكذا كان ظهور الاغنية السودانية الحديثة لزاماً لتطور هذه الحياة ولما فيها من حفلات عرس وختان وحفلات خاصة في منازل العائلات والتى يتجمع لديها خليطُ من القبائل ، والتي تتطلب نوعاً من التطريب والإيقاعات التى تناسب رقص البنات الذي كان هو سمة الفرح والعرس السوداني.

ففي عام 1908م قدم الى مدينة امدرمان شاب رقيق الحس و الشعور ، ينشدُ شعراً جميلاً من تراث منطقته "كبوشيه" وهو المغني محمد الفكى بابكر الملقب بود الفكيي و الذي أتى من كبوشية وهو يحمل معه فناً جديدًا، فقد كان مغنيًا موهوباً يستعمل العصى في حفظ الايقاع واشتهر بغنى" الرميات" وهي اغانى قصيره يرقص عليها البنات في المناسبات المختلفة.والحقيقة ان منطقة كبوشية كانت مشهورةً بهذا النوع من الغناء ويكثر فيها المبدعون ومن اشهر المغنين الذين قدموا من تلك المنطقة ود الماحي والامين برهان اللذان قدما الى ام درمان بعد فترة ود الفكي.كان يوجد أيضاً غناء الطنابره وهم مجموعة تغني باستخدام الحنجرة.أما اغانى الطمبور فقد كانت تؤدى بنمطين : إيقاع سريع يسمى الخفيف وآخر بطئ و يسمى الثقيل ويتم عليهما رقص البنات,كان من أشهر الطنابره فى ذلك العصر، عبد الغفار، شيخ الطنابره و خضر الرومى و توم شم العيش وأخرون.فقد كانوا يلقبون بالصياع لأنهم كانوا يجوبون الطرقات فى امدرمان وهم يتغنون بأغانى الطمبور. تأثر شعراء تلك الفترة بفن ود الفكي وصاروا ينظمون شعراً يجاري مثل ذاك الفن (فن الرميات) ومن اولئك الشعراء،العبادي وابو صلاح وعثمان جقود ، يوسف حسب الله ومحمد عثمان بدرى وخليل فرح بدري.كانت خلفية الشعراء الثقافيه دينية . فدراسة الخلوة (مدرسة القران) كانت اجباري بالنسبة لكل ابناء ذلك الزمان وغير الذين تربوا أصلاً في بيوت اهل التصوف مثل الشاعر محمد ود الرضى.ومثلاً لهذه الرميات يمكننا ان نورد هذا النص :

الـــلـــه الـــلـــه يـــا نـــاس الـــه

بـــــــصديره عـــــــام يـــــــا نـــــــاس الله
شبـــــــه الحمـــــــام يـــــــا نـــــــاس الله
فـــــي بيـــــت المـــــال يـــــا نـــــاس الله

فذْكرُ الله سبحانه وتعالى موجود في كل اخيلة الشعراء في تلـك الفتـرة.و كانت ثقافة معظم الشعراء لا تتعدى الخلوه وبعضهم أمي وبعضهم تعلم في مدرسة الصناعات كحرفي. وكانت الامية متفشية في السودان خاصة وسط النساء ولكـن بساطة لغة الاغنية في تلك الايام جعلتها سهلة الحفظ فكان الناس يطربون للاغنية ويحفظونها ويتناقلونها بسرعة مما جعل حفظ ذلك التراث الغنائي سـهلاً. كانـت اغنية امدرمان في ذلك الزمن تفتقد (لإستعمال الآلات) التي عُرفت لأول مرة فـي عام 1923م عندما غنى الفنان محمد احمد سرور مستعملا آلة الرق وبمـصاحبة الكورس (الشيالين). هكذا كان الوضع في امدرمان وفي ذلك الزمان. امـا فـي الخرطوم كان معظم السكان من الجاليات الاجنبية اغلبهم من المصريين والاتراك والارمن والاغريق والانجليز ، لأن الخرطوم كانت عاصمة السودان فـي عهـد الحكم الثنائي(الأنجليزى-المصرى) وكما كانت أيضا في فتـرة الحكـم التركـي السابق ولذا كان للخرطوم ثقافتها المميزة التي كان طابعها اوروبـي – مـصرى. كان فن الغناء في الخرطوم متأثرا بالتخت(الموسيقى) المصرية ، اغـاني عبـده الحامولي وعلى الكسار وسيد درويش وصالح عبد الحـي، وعرِفـت الخرطـوم العزف على العود والبيانو والاكورديون قبل ان تعرف امدرمان ذلك . فـالمغنيين السودانيين الذين تربوا في الخرطوم كانوا متأثرين بهذا الفن وخيـر مثـال لـذلك الفنان الراحل خليل فرح بدري . كان اهل الخرطوم يلبسون اللبس المصري مـن ارتداء للطربوش ويمارسون تقريبا نفس العادات التي كـان يمارسـها الافـرنج والمصريين من مأكل ومشرب. وفي هذه الفترة ظهر الفنان خليل فـرح بـدري- عبقري زمانه- كشاعر ومطرب و مثقف وطنى.وُلـد خليـل فـرح فـى عـام 1894(بدبروسه) بمنطقةحلفا وهو أصلاً من منطقة السكوت المحس (عبرى)،وقدم الى الخرطوم فى عام 1908 ليلتحق بمدرسة الصناعات الحرفية التابعـة لكليـة

الشاعر محمد ود الرضى

الشاعر إبراهيم العبادي

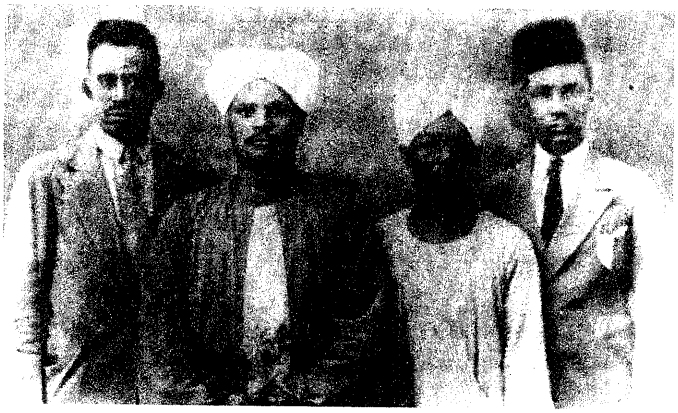

الأمين برهان – كرومه – متعهد الاستطوانات – سرور (قلب حقيبة الفن)

غردون والتي تخرج فيها عام 1912م كفني ميكانيكى ليعمل في مصلحة البريد والبرق كفني تلغراف. كان شابًا خجولاً وذكي وخاصةً إذا عرفنا أنه قد أتقن اللغة العربيه فى زمنٍ وجيز جداً لأن لغته الاساسية هي رطانة المحس ولكن ما نظمه من شعر باللغة العربية لا يدل الا على ذكاء خارق و موهبه عاليه و ثقافه راقيه.تأثر خليل فرح بالمدرسه المصريه الموسيقيه وتعلم العزف على العود على ايدي الاساتذه المصريين الذين كان يسكن معهم في حي الترس(غرب شارع الحرية الان). وكان خليل فرح يستمع الى الاغاني المصرية من خلال الفونغراف والاسطوانات التي كانت تصل الى هؤلاء السكان المصريين من ذويهم بمصر وكذلك الاستماع الى بعض الموسيقى الكلاسيكية التي كان يقتنى اسطواناتها اولئك ألأجانب.خليل فرح غنى لشعره الخاص، ولم يسجل الا اسطوانتين فقط، اغنية "عازة في هواك" و"عبده". اغنية عازة في هواك من شعر خليل فرح اما "عبده" فهي شعر عمرو بن ابي ربيعة وكان قد تم تسجيل هذه الأسطوانات في عام 1931م في القاهرة وفي آخر ايامه حيث انه توفى بعد عودته الى السودان في يوليو عام 1932م. كان شعر خليل فرح من نفس نمط شعراء حقبته من امثال الشيخ ابراهيم العبادي ، احمد حسين العمرابي و محمد عثمان بدري، وهؤلاء هم شعراء الخرطوم فى تلك الفترة، أما أبو صلاح (صالح عبد السيد) فهو من الخرطوم بحري و كذلك الشاعر مصطفى بطران. سكن خليل فرح في كل مدن العاصمة المثلثة : الخرطوم ثم الخرطوم بحري واخيراً في امدرمان ولذا جارى في شعره كل شعراء العاصمة وكما كان الشيخ محمد ود الرضي ايضا من شعراء مدرسة الخرطوم وامدرمان أخيراً، فهو أصلاً من سكان قرية "أم ضواً بان" بمنطقة شرق النيل،وقد أنتقل الى أمدرمان مع صديقه العبادى وكان يمارس التجارة فيها لبعض الوقت. كان مجلس شعراء وفناني الخرطوم دكان احمد حسين العمرابي في السوق العربي فى الفترة من عام 1922 الى 1930.

كان لإنتقال الفنان محمد احمد سرور من الخرطوم لإمدرمان أثراً كبيراً في جذب شعراء الاغنية الى امدرمان حيث كان الفنان سرور قد بدأ الغناء بعد ان اكتشفه الشاعر ابراهيم العبادي ولقنه شعره وعلى ما اعتقد غنى له اول اغنية

"ببكي و بنوح و بصيح للشوفتن بتريح " و " برضي ليك المولى الموالي" وهي من اعظم ما كتب الشيخ العبادي في الشعر الغنائي. كانت الفترة من عام 1908-1923م فترة تبارى فيها شعراء الاغنية لإمتلاك ساحة الغناء الذي كان رائده الفنان سرور بعد أن وقف ود الفكى من الغناء فى الحفلات العامه. بعدها غنى سرور "متى مزاري" للشاعر الشيخ محمد ود الرضي وهو صديق حميم للعبادى ومن ثَم توالت الاغنيات من شعراء تلك الفتره. تعتبرالفتره من عام 1923م حيث بدا سرور يغني بمصاحبة الكورس مستعملا الة الرق كايقاع والمثلث هى فترة ما يسمى بغناء " حقيبة الفن" وجاء هذا الاسم من البرنامج الاذاعى المعروف بهذا الإسم. كان من اشهر اعضاء الكورس المصاحب له، الفنان علي الشايقي والامين برهان والذي صار يغني منفردا في فترة لاحقة وأيضاً الفنان كرومه قبل أن يغنى منفرداً.

كانت مدينة امدرمان مدينة بسيطة ناشئة بدون شوارع اسفلت ولا كهرباء والماء يُجلب من الآبار ووسيلة المواصلات الوحيدة بعد الترام هي ركوب الحمير وكانت الحفلات الغنائيه تُقام على ضوء المصابيح الغازية وفي تلك الظروف كان يغني الفنان بدون مايكرفون لعدم وجود الكهرباء. وكان جمال وقوة الصوت هما العاملان الحاسمان في المنافسة في الساحة الغنائية . عُرف الفنان محمد احمد سرور بقوة الصوت وجماله فقد كان يُسمع كل الحي عندما يغني بل يفد بعض الناس من اماكن بعيده احيانا لدى سماعهم صوت سرور. كان مسرح الغناء بيوت الأعراس حيث يجتمع الرجال والنساء للاحتفال بهذه المناسبه ، وتقام ليالي الغناء والرقص كعادة السودانيين و خاصة اهل امدرمان. وفي هذه المناسبات يتطلع كل الشباب في البحث عن عروس مناسبة له، حيث كانت تلك المناسبات هى المكان الوحيد الذي يمكن أن يشاهد فيه الرجال النساء وهن يرقصن وفيها كتب شعراء الاغنية معظم اغنياتهم في موضوع واحد و هوالغزل الحسي العفيف.

كان الفنان خليل فرح يُغني في نطاق ومجال ضيق ويمكننا ان نسميه(فنان صالونات) ، لانه كان يُغني لنخبة من المثقفين السودانيين الذين كانت لهم ادوار سياسية مثل أعضاء "جمعية الاتحاد السودانى" التي تكونت في عام 1920م، من

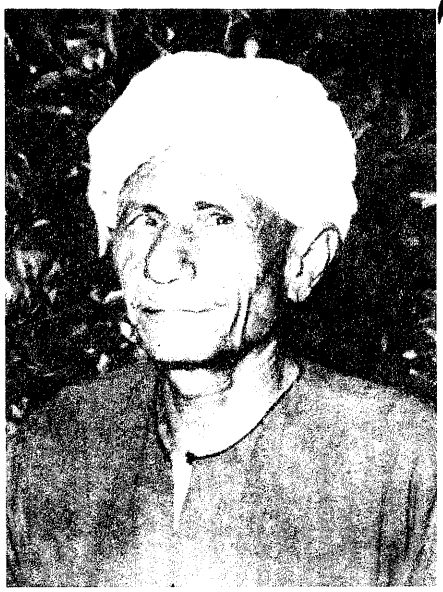

الشاعر صالح عبد السيد (أبو صلاح)

الشاعر أحمد حسين العمرابي

(دكانه كان منتدى غناء الحقيبة في أولها)

الفنان إبراهيم عبد الجليل

نخبة من المثقفين والشعراء منهم الشاعر توفيق صالح جبريل و الناقد المعروف الامين على مدنى و محي الدين جمال ابو سيف وابراهيم بدري ومجموعة من العناصر الوطنية التي كانت نواة لثورة 1924م.و كان لهم منتدى عُرف بدار فوز نسبةً لساكنة الدار وكان إسمها " الشول بت حلوة " ولهذا الدار قصة طويلة لا مجال لذكرها الآن لأنها ليس بالموضوع الأساسي لهذا الكتاب .كان الخليل صوتهم الفني وكانت اغانيه الوطنية وليدة هذا المنتدى، في اغنياته "عازة في هواك" و"الشرف الباذل" " يا نيلينا يا نيل الحياة " والأخريات من الأغاني الوطنية .كان الفن الغنائي في ذلك الزمان هواية ولا يوجد اي احتراف او غناء بالمقابل المادي الا عندما بدأ تسجيل الاسطوانات في مصر، عندما كانت تدفع الشركة صاحبة التسجيل مقابل مادي للفنان الذي يسجل لها وعلى ما اعتقد اول بداية هذه التسجيلات كانت في عام 1927م، واول من سجل اسطوانات كان الفنان عبد الله الماحي.

سرور كان فنان الشعب الذي يغني في كل المناسبات ولكنه لا يتقاضى عائدا ماديا على ذلك، فكان احتراف الغناء عيب بل الغناء في حد ذاته عيبٌ كبير وكان الفنانون يسمون "بالصياع" سارت هذه التسميه منذ أيام غناء الطنابره، برغم حب الجماهير لهم وهم عفيفى النفس زاهدين عن تلقي اي مال. فالتقاليد كانت لا تسمح باحتراف الفن ولذا كان الفنانون لهم حرفًا يمتهنونها بجانب الغناء. كان صوت سرور معجزة من معجزات الفن الغنائى و لازال فريد فى نوعه.كان الفنان الشاعر و الملحن عمر البنا من المعاصرين لسرور .وهو الذي شجع كرومه فى ان يغنى منفرداً. فقد كان يكتب قصائده ويغنيها بمصاحبة كورس منهم كرومة، الذي كان قد بدا كشيال فى فرقة عمر البنا.

كان لظهور كرومة ايضا، كفنان صاحب ملكه صوتية عاليه واداء متميز قد اضفى على الساحه الفنيه منافسه شديده فقد كان من أقوى المنافسين للحاج محمد احمد سرور. كان كرومه شيالاً قبل ان يكون مطرباً ولكن موهبته انتشرت بسرعة وخاصة وهو ابن امدرمان الذي ولد في حي واد نوباوى وهو ذو معرفة بأهل المدينة وأُسرِها، فكان إضافة كبيرة لأغنية امدرمان في عصره . في تلك

الفترة ظهر ديمترى البازار صاحب مكتبة البازار السوداني كمستثمر في مجال انتاج الاسطوانات وعمل اتفاقاً مع شركة(بيضافون)و (مشيان) في مصر لتسجيل الاغانى السودانيه فى اسطوانات ليقوم بتوزيعها في السودان. ديمتري البازار كان معاصراً لخليل فرح والشاعرين مصطفى بطران واحمد حسن العمري في الدراسة بكلية غردون ولذا عن طريقهم استطاع ان يكّون علاقات وثيقة بأهل الفن. كانت أول دفعه سافرت الى مصر للتسجيل تضم المطربين عبد الله الماحي وابراهيم عبد الجليل الذي كان قد ظهر حديثًا في الساحة الغنائيه آنذاك وكان عمره لا يتجاوز الثالثة عشر عاماً .الفنان ابراهيم عبد الجليل صاحب الصوت الملائكي ، أظهر عذوبة ورقة في الأداء وانتشر صيته في امدرمان ، فهو من حي المورده المعروف. أُعجبت المطربة المصرية المشهورة " ام كلثوم" بالفنان ابراهيم عبد الجليل حينما وجدته يسجل اغنية "الشويدن روض الجنان "في استديوهات بيضافون. كان ابراهيم عبد الجليل من اسرة موهوبة في الغناء فشقيقه الاكبر التوم عبد الجليل كان أيضا من فناني تلك المرحلة. شعراء المرحلة الثانية أي من عام 1927م الى عام 1947 منهم عبيد عبد الرحمن وسيد عبد العزيز ومحمد البشير عتيق ومحمد على الامي ، وعلي المساح من واد مدني. هؤلاء الشعراء ومعهم السابقين مثل العبادي وصالح عبد السيد(ابو صلاح) و عمر البنا وجقود وحدباى وغيرهم شكلوا أتيام منافسات ومجاريات في الشعر كانت قمة في الابداع مستغلين تلك الاصوات الجميلة، سرور وكرومه وابراهيم عبد الجليل و غيرهم .أنقسم الشعراء و المطربين الى فريقين : أولهما على رأسه أبو صلاح ومعه عكير و عمر البنا أما الفريق الثانى فكان بزعامة ابراهيم العبادي و سيد عبد العزيز عبيد عبد الرحمن و احمد عبد الرحيم العمرى و مصطفى بطران.كرومه كان مطرب التيم الاول و سرور مطرب التيم الثانى. وهذه كانت قمة الأبداع فى فترة ما يسمونه بالحقيبة.و كما ذكرتُ سابقاً ، أن المرحلة الثانية لفترة الحقيبة بدأت فى عام 1927م واستمرت الى ان ظهر ايقاع و أغانى "التُم تُم" التى بدأت في عام 1935م، والتي أحدثت نقله كبيره في الموسيقى السودانية وذلك باضافة إيقاع جديد انتشر انتشاراً واسعاً فى حينها. والحقيقة انه كان غناء الطبقة الدنيا في البداية وقد

ن اليمين : الفنان كرومه – الامين برهان
جلوس : الشاعر الفنان عمر البنا

الفنان فضل المولى زنقار

جلوس من اليمين : الفنان خليل فرح – الشاعر إبراهيم العبادي – الفنان محمد احمد سرور
الفنان الامين برهان – الفنان كرومه
وقوف من اليمين – داوود (مهد اسطوانات سرور) – سيد فرح – سامى و شريف على نصري
الدرديري احمد اسماعيل – أدريس عبد الحي
القاهرة عام ١٩٣١

وجد معارضه من رموز المجتمع،وقد قيل أن السيد عبد الرحمن المهدى قد أستهجنه، ولكن بعد ذلك فرض نفسه على الساحه الفنيه. قصائده ضحلة المعانى وبعضها مبتذل وكذلك كانت الرقصات المصاحبة للايقاع الى ان تطور الى شيء احسن بدخول الشعراء سيد عبد العزيز وعبد القادر تلودي في نظم قصائد جميلة ومهذبة لتغنى بنفس الايقاع. كان اشهر المغنيين لهذا الايقاع الفنان فضل المولى زنقار صاحب الصوت المميز الذي لم تاتي الساحة الغنائية بمثله وإن حاول بعض الفنانين تقليده. في الفترة الثانية لأغنية (الحقيبة) دخلت بعض الالات الموسيقية مثل الاكورديون ، وكان اشهر العازفين في ذلك الزمن (وهبة) وكذلك الة الكمان واشهر عازفيه كان السر عبد الله الذي صاحب كثيراً من الفنانين بالعزف على الكمان وخاصة في تسجيلات الاسطوانات.

الفترة التي نتكلم عنها الان هي الفترة من 1935م والى 1947م. ظهر فيها فنانون جدد اشهرهم إبراهيم الكاشف الذى قدم من واد مدني واظهر براعة فائقة في الغناء وكان منافسا حقيقياً لسرور وكرومه وغيرهم من فناني ذلك الزمن. لقد أُعجب به الشاعر عبيد عبد الرحمن ونظم له قصائد جميله وبدأ يأخذ مكانة في الساحة مع رفاقه من فناني ذلك العصر و خاصة مع التطور الموسيقي الذي حدث بظهور الكمان كآلة اساسية في الاوركسترا.فقد كان ظهوره اضافة حقيقة للفن السوداني من حيث الصوت ونوع الاغنية. وفي هذه المرحلة ظهر شعراء جدد مثل عبد الرحمن الريح ومسعد حنفي ، والحديث عن عبد الرحمن الريح طويل جدا فهو من عباقرة الفن الغنائي السوداني ، كشاعر وملحن وعلى ما أعتقد هو من اكثر الشعراء انتاجاً في مجال الاغنية السودانية. ايضاً ظهرت الاصوات النسائية لاول مره، وفي تلك الحقبه ظهرت عائشة الفلاتية القادمة من الجزيرة وهي تغني اغاني السيرة في الاعراس بداية، ثم دخلت بعدها الى المجال الواسع باتصالها بالشعراء والملحنين. وفي فترة الثلاثينات كانت المطربه رابحة التم تم (ربوحة) هي المشهورة في اداء اغاني التم تم ومعها فى نفس الفترة المطربه فاطمة خميس وكذلك أم الحسن الشايقيه وكانت من اغانيهم المشهورة "حبيبي ما بخلي الاخضر لونه زرعي" و"الليله يا تومي". كان من المهتمين بنوع هذا الغناء الموسيقار

الشاعر سيد عبد العزيز

الفنان كرومه

الموسيقار اسماعيل عبد المعين

الراحل اسماعيل عبد المعين الذي حضرتُ له محاضرة في نادي الخريجين في الخرطوم في فترة الستينات وهو يعطي نماذج عن موسيقى وغناء التم تم ، ولا شك ان اسماعيل عبد المعين كان من الدارسين للموسيقى وكانت له ملكات واسعة في التلحين ومن الذين ساهموا كثيرا بالارتقاء بالموسيقى السودانية ومن اشهر الحانه اغنية "يا الساكن جبال التاكا" "وقابلته مع البياح" غناء الفاضل حمد.ومن التسجيلات التي تمت لهذا النوع من الغناء بعض الاسطوانات لام الحسن الشايقية وميري شريف وعائشة الفلاتية.

كانت فترة الثلاثينات من أكثر الفترات انجازاً وتطوراً في عالم الاغنية السودانية وهي الفترة التي وصلت فيها الموسيقى والكورس مستوى جيد بالمقارنة بفترة العشرينات. ففي هذه الفترة تكونت فرق العازفين للكمان والبيانو والشيلو وفيها وصلت مجهودات انشاء مسرح سوداني متميز الى درجة ممتازه بعد المجهودات المقدره من المرحوم صديق فريد الذى يعتبر رائد هذا الفن الى قيام المسرح الحديث فى السودان . ويجب أن نذكر هنا الشاعر الفنان خالد ابو الروس ومسرحيته المشهورة "تاجوج" التي مُثلت في نادي الخريجين عام 1934م. هذه النهضة الموسيقية كانت نتاج لحياة الاستقرار الاجتماعي والتطور المدني، بعد ان عرف السودانيون الوظيفة والمكانة الاجتماعية، ومستلزمات الحياة المدنية الحديثة وخاصة وأن الكهرباء قد بدات تدخل في البيوت وتنير الحياة وتساعد على كثيرٍ من النشاطات. كان دخول الكهرباء الى امدرمان في عام 1928م ، وأول بيت دخلته الكهرباء كان بيت الوجيه عبد المنعم محمد رجل الاعمال والبر والاحسان المعروف. لقد اسهم نادي الخريجين كثيرا في اثراء الحياة الاجتماعية في الثلاثينات فقد كان منتدى النخبة والمثقفين منذ انشاءه في عام 1917م . ففي فترة الثلاثينات كان الموظفين والمثقفين يستطيعون قراءة المجلات والصحف مجاناً ، ويوجد بداخل النادي مجموعات من الأفراد كل لها اهتمامها الخاص من شعر ، ومسرح وسياسة والعمل الخيري.

كان اثر أهل الصوفية والبيوتات الدينية كبيراً فى الحياة الأجتماعيه حتى ان نادى الخريجين في امدرمان كان من أملاك الشريف يوسف الهندي ووهبه

لأعضاء النادى. وكان معظم نخبة المجتمع يدينون بالولاء والاحترام للسيدين عبد الرحمن المهدي والسيد على الميرغني واللذان كان أشرهم بارزاً في حياة السودانيين قاطبة.

في نهاية الثلاثينات ومع بداية الحرب العالمية الثانية بدأ الانجليز في التفكير في انشاء الاذاعة السودانية ولسببين، اولا لنشر اخبار الحرب خاصة وان قوة دفاع السودان كانت من قوات المشاركة مع الحلفاء في جبهتين، في شرق السودان واريتريا وفي شمال افريقيا في ليبيا- منطقة العلمين وكفرة وبرقه وطرابلس. وثانياً ، لمقاومة اذاعة برلين النازية التي كانت تبث الدعاية والحملات المضادة للحلفاء. ويذكر ذاك الجيل صوت المذيع العربي المشهور "يونس بحري" فكانت اذاعة برلين تمثل دول المحور آنذاك (المانيا- ايطاليا واليابان). كان هدف السلطات البريطانية نشر اخبار انتصارات قوات الحلفاء (بريطانيا- فرنسا وامريكا).

بدأ البث الاذاعي في عام 1940م من غرفة صغيرة في مكتب البريد والبرق في امدرمان . كان العرض لمدة خمسة عشر دقيقة كل اسبوع فيها خمسة دقائق للغناء.و كان اول المغنين سرور وبعدها حسن عطية، وظهرت بعد ذلك وجوه جديده مثل التجاني السيوفي، وعبد الحميد يوسف والكاشف الذي بدأ يغني بمصاحبة اوركسترا بعد ان بدأ أولاً الغناء بمصاحبة الة الرق،و كانت هذه الفواصل الغنائية تذاع على الهواء مباشرة. كان ايضا من فناني تلك الفترة احمد المصطفى وعبد العزيز محمد داؤود.أما الفترة من عام 1940م والى منتصف السبعينات فهي فترة ما نسميهم" الرواد "- اي رواد الاغنية الحديثة التي ضمت كوكبة من الفنانين منهم ابراهيم الكاشف وعبد الحميد يوسف وحسن عطية واحمد المصطفى وعبد العزيز محمد داؤود والفاضل احمد ، والتجاني السيوفي وعثمان الشفيع وعثمان حسين. ففي منتصف السبعينيات بدأ ظهور المقلدين الذين صاروا يتغنون باغاني الرواد ودخلت الاغنية فى طور أخر وخاصة بعد قيام معهد الموسيقى والمسرح وظهور أنماط جديدة من الغناء وفيها ما يسمى بالغناء الجماعي، وايضا تطورت الالات الموسيقية ونوع الموسيقى وطريقة الاداء.

شهدت الفتره مابعد عام 1975 تطـــوراً ملحوظـــاً فـــى الأداء والتـــأليف الموسيقى ذلك بأستخدام الأساليب العلميه فى التوزيع.وحتى فى الغنـــاء الـــشعبى ظهر لون جديد من الأداء يمثله المطرب كمال ترباس كرائد لهـــذه المدرســـه،فقد استطاع كمال ترباس أن يأتى بلون جديد مستعملاً الكورس بطريقة لم تحدث مـــن قبل وأعاد غناء الحقيبه بشكل جذاب يخرج السامع من الرتابة التى تجدها أحيانـــاً عند بعض مطربى هذا اللون من الغناء.

من الظواهر الجديده فى فترة السبعينيات كان غناء البنات الجماعى ممثـــل فى فرقة "البلابل" مكونة من الشقيقات هاديه وأمال و وحياة وماقدمته من اعمـــال جميله بفضل المجهود العظيم من الموسيقار بشير عبـــاس و الـــذى أســـتطاع أن يتخطى بهم حاجزاً كبيراً فى القفز بالاغنية السودانية الى مجال أوسع فـــى الاداء والتنوع الموسيقى.كان أختيار النص الشعرى المناسب وهو نوع من الشعر الغنائى يتناسب مع مقدرات أولئك المطربات الشقيقات وكان هذا من أهم عوامل نجاح هذه الفرقة بجانب الاستفاده من اسهام معهد الموسيقى و المسرح الذى كان قد أســـس حديثاً.

أفرز لنا معهد الموسيقى و المسرح عدداً هائلاً من المطـــربين مـــستعملين أخر ما وصلت اليه الموسيقى الالكترونية من تطور.فقد ظهـــر الاورغـــن كآلـــة أساسية فى الاوركيسترا السودانيه و كذلك دخل الجيتار بانواعـــه و آلات الايقـــاع المتنوعه.ظهر فى هذه الفترة مطربين مثل مجذوب أونسه و عبد العزيز المبـــارك و غيرهم ممن أدوا أداءاً حسناً وهم جلهم من خريجى هذا المعهد.كان مـــن أبـــرز المطربين الذين عاصروا هذه الفتره ، المطرب الفذ هاشم ميرغنى الذى أســـتطاع أن يحتفظ بمكانه ممثلاً لمدرستين فى الغناء، القـــديم و مجاريـــاً الحـــديث.وكـــان المطرب والفنان المسرحى عبد العزيز العميرى ظاهرة أستحقت كل الأهتمـــام و الألتفات و لكن رحمه الله فقد توفى صغيراً قبل أن يكمل المشوار الذى كان قد بدأه بداية طيبة.

المطرب عبد الكريم الكابلى من الافذاذ الذين استطاعوا أن يجاروا كل هذه الفترات والتطورات دون أن يفقد مكانه فى ميدان الفن الغنـــائى الـــسودانى.فعبـــد

الكريم الكابلى له مدرسته الخاصة التى تمتاز بنمط لايجاريه فيه أحد.فهو المطرب الملم بالتراث الغنائى السودانى و أسراره وله مجتمع خاص يتكيف مع ما يقدمه مع حرصه على التجويد فى كل أعماله الفنية.الكابلى أستفاد من قرآته للتراث العربى القديم ومزج هذا فى مايقدمه كفن أجتاز الحدود المحلية و مخترقاً الساحة الغنائية العربية ليؤكد أصالة الفن العربى السودانى.فهو أول مطرب سودانى أستطاع أن يسجل أسطوانة فى أمريكا مقدماً فيها نماذجاً حية للتراث الفنى الشعبى السودانى كنوع من التوثيق.

و الفترة التى فيها نحن الآن، فترة يعتبر فيها كل أنواع التعدد، من أداء الى موسيقى وانماط من الموسيقى لم تشهدها الساحة الغنائية من قبل.ولكن هنالك أصوات جديده يجب أن تؤخذ فى الاعتبار مثل جمال مصطفى(فرفور) و سميره دنيا اللذين أعادوا لنا جمال الاصوات القديمه-زنقار،أبراهيم عبد الجليل، عائشه الفلاتيه ،الجابرى ،سرور و كرومه.

الشيء المفقود فى هذه الفتره هو النص الشعرى الجيد.فأزمة النص الملائم للتلحين صار مشكلة ظاهره، فتجد معظم النصوص الشعريه الغنائيه فاقدة لروح الخيال و البلاغه الشعريه التى كانت جوهر الأغنيه السودانيه.فنجد الأن الموسيقى تغطى على ضعف النص الشعرى.

ظهور عثمان حسين

كانت الفترة الممتدة من تاريخ إنشاء الإذاعة السودانية في عام 1940م حتى عام 1950م فترة إنتقال كبير بالشعر والموسيقى والأداء الغنائي بما دخل عليه من تطريب. فكما ذكرت في الفصل السابق إنه بإنشاء الإذاعة أخذت الأوركسترا مكاناً بارزاً في مجال الفن الغنائي وظهر الشعر الغنائي الرومانسي بأخيلته الواسعة.وأعتقد ان ذلك التطور أتى مواكباً لجيل المغنين الجدد وتأثرهم بالسينما المصرية والفن المصري. فقد كانت للرحلات المنتظمة لهؤلاء المغنين إلى مصر والتسجيل لإذاعة ركن السودان والإلتقاء برصفائهم من المطربين المصريين، أثر كبير على تطور الأغنية السودانية وذلك في محاولات لتقليد الفن المصري. فقد كانوا مستمعين جيدين لأغاني المطرب محمد عبد الوهاب وفيهم من حاول غناء بعض الأغاني المصرية مثل الفنان المرحوم أحمد المصطفى الذي غنى مع المطربه صباح أغنية "أهواك ياملاك" والتي سجلت في فيلم غنائي. كان الدويتو رائعا وخلق معجبين في كلا القطرين وبعدها غنى الفنان أحمد المصطفى للشاعر الغنائي الكبير أحمد رامي أغنية"راحل مقيم" كان أيضا للفنان فريد الاطرش معجبين كثيرين في السودان وأيضا تأثر به بعض الفنانين السودانيين. كان هذا الإعجاب بالفن المصري في السودان شديداً برغم إختلاف الموسيقى ، فالعزف الموسيقي المصري على السلم السباعي بينما السوداني يعزف على السلم الخماسي. الموسيقي السودانية وجدت رواجاً أكثر في الدول الأفريقية المجاورة للسودان مثل أثيوبيا، أريتريا ، الصومال في شرق أفريقيا وتشاد، الكميرون ونيجيريا في غرب أفريقيا ويمكن أن نقول أن هذا الرواج سببه قرب الإيقاع الموسيقي ، فالإيقاعات في الموسيقى السودانية أفريقية بحته أو بتأثر قليل من الإيقاع الهندي. وبذا يمكن ان نقول ان الموسيقى السودانية هي مزيج من الموسيقى الإفريقية والهندية وشاهد على ذلك عشق المواطن السوداني للأفلام الهندية حتى أن بعض السودانيون يتغنون بالأغاني الهندية ولا يفهمون معاني

الكلمات وهذا حادث أيضاً في اثيوبيا حيث يتغنى الأثيوبيون بالأغاني السودانية ويطربون لها دون أن يفهموا معنى الكلمات.

كان لظهور الفنان محمد عبد الوهاب في الأفلام السينمائية وهو يغني بمصاحبة الأوركسترا أثراً كبيراً على فنانينا وخاصة إذا شاهدناه في الفيلم المشهور "غزل البنات" الذي كان من أكثر الأفلام المصرية نجاحاً في السودان ، ففيه تجلى عبد الوهاب في الغناء بمصاحبة أكبر أوركسترا فنية من العازفين في ذلك الزمن.

في تلك الفترة ظهر الفنان عبد الحميد يوسف والتجاني السيوفي وإبراهيم الكاشف(باللون الجديد، الغناء بمصاحبة الأوركسترا بدلاً عن آلة الرق) و كذلك حسن عطية وأحمد المصطفى وعائشة الفلاتية وحسن سليمان وعبد العزيز محمد داؤود ، كرواد للفترة الأولى أي من عام 1940-1947م ، أما الفترة التي تلت ذلك قد قدمت أولاً الفنان عثمان الشفيع كفنان متميز وصاحب مدرسة جديدة وبداية للثنائيات في مجال الأغنية الحديثة حيث أنه كان على إتصال متواصل مع شاعره محمد عوض الكريم القرشي الذي قدم له أروع القصائد. كان التنافس شديداً على إظهار العمل الجيد وكان الشعراء قليلون لأن الكلمة الجديدة قد طرحت نفسها على الساحة وصار الشعر القديم الحسي في حيرة مع الرومانسية المحدثة التي ظهرت في القصائد والأغاني الجديدة، فكان لا بد لهؤلاء الشعراء ان يخرجوا من دائرة الوصف التقليدي الى عالم الرومانسية التي صارت مطلب الفنان الجديد المتوثب للأحسن وإلى موقف منافس قوي. كانت القصائد الوطنية ملئ الساحة والسودان على وشك حصوله على الإستقلال من حكم إستعماري دام أكثر من خمسون عاماً ذاق الأهالي فيها ظلم وإستبداد وتكبيل للحريات وخاصة في مجال الفن الغنائي حيث خضعت كل الأغاني في فترة الإستعمار إلى رقابة صارمة ومُنعت كثيراً من الأغاني الوطنية منذ عصر خليل فرح الذي كان قد تعرض إلى المساءلة بواسطة المخابرات الإستعمارية عندما غنى أغنية "الشرف الباذل" فكان صمويل عطية العربي الأصل الذي أُوكلت إليه هذه المهمة وجاء من بعده إدوارد عطية الذي كان أيضاً من كبار رجال المخابرات في عهد الإستعمار . غنى عثمان الشفيع "وطن

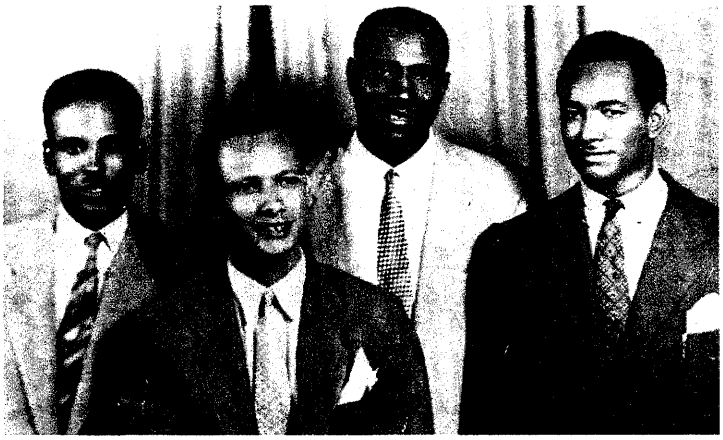

عثمان حسين – عبد العزيز محمد داوود – حسن عطية

و أحمد المصطفى (رواد الفن الغنائي الحديث)

الفنان سيد خليفة

الجدود" وحُرم بواسطة المستعمر من أدائها ولكنه إستمر في غنائها برغم الإعتقالات والمساءلات. من الثنائيات المشهورة أيضاً إبراهيم الكاشف وعبيد عبد الرحمن والأغاني الجميلة الخالدة، والكاشف فنان قل أن يجود الزمان بمثله، بصوته الجميل القوي وأداءه الرائع المتميز وعبيد عبد الرحمن الشاعر الذي عاصر الأغنية السودانية منذ 1927م نظماً وتلحيناً وأكثر من نظم شعراً للفنان محمد أحمد سرور، فالآن هو شاعر لرواد الأغنية الحديثة إنتقالاً من عصر الحقيبة إلى المرحلة الحديثة.

وكذلك الثنائية بين الفنان حسن عطية والشاعرعبد الرحمن الريح والشاعر عبد المنعم عبد الحي. حسن عطية ملك العود بحنجرته الذهبية وأداءه الرائع مع الشاعر المغترب عبد المنعم عبد الحي، الذي كان يعيش في مصر ، ولم يبخل على بقية الفنانين بشعره فقد كتب لأحمد المصطفى بعض القصائد الجميلة الخالدة وكل السودان يعرف قصيدة "أنا أم درمان" المشهوره ، وفنانين آخرين تغنوا بقصائده. أحمد المصطفى غنى كثيراً للشاعر احمد محمد الشيخ المشهور (بالجاغريو) ، أما صلاح محمد عيسى فكان قد كون ثنائي مع الشاعر إسماعيل خورشيد. هؤلاء الذين ذكرتهم كانوا أبرز الثنائيات التي ظهرت في تلك الفترة.

كما ذكرت سابقا أن الفنانين السودانيين كانوا على صلة وثيقة بمصر وكانت زياراتهم مستمره وتأثرهم بالغناء المصري ظاهراً حتى في ملبسهم (البدلة والكرافته) وطريقة عزف العود كما كان يفعل الفنان محمد عبد الوهاب، كان في مصر ثلاث أشياء مهمة جداً للفنان السوداني هي: إذاعة ركن السودان وعبد المنعم عبد الحي بقصائده الجميلة والموسيقار برعي محمد دفع الله الذي كان يعمل في سفارة السودان بالقاهرة، وهذه الأشياء الثلاثة دفعت بالأغنية السودانية إلى مجالات رفيعة وكان إنتاج عبد المنعم عبد الحي وألحان برعي مسيطره على الساحة الغنائية ، لأنه تغنى بها معظم فناني تلك الفترة. فكانت أغاني جميلة وخالدة ، مثل أغنية "رملتنا بيضا" لحسن عطية، "أيامنا" لعثمان الشفيع "أبني عشك يا قماري "لسيد خليفة، "يا ناس لالا" لعثمان حسين "فارق لا تلم" لأحمد المصطفى ،"عذاري الحي" لعبد العزيز محمد داؤود وكثير من الأغنيات.

الفنان عثمان حسين

الفنان عبد الحميد يوسف

كما ذكرت عن نشاة الإذاعة السودانية في 1940م، وإنها كانت أولاً من بوستة أم درمان ، لم يمر زمناً طويلاً حتى إنتقلت إلى منزل الأستاذ عبيد عبد النور بالقرب من بيت الخليفة عبد الله وقبة الإمام المهدي ومدرسة الدايات وكان الإرسال يومياً ودخلت إلى السودان أجهزة الإستقبال وكثر عدد المستمعين وكان الفنانين يذهبون لتقديم أغانيهم على الهواء مباشرة قبل دخول أجهزة التسجيل على الأسطوانات. وفي تلك الفترة تولى إدارتها نخبة من الكفاءات على رأسها متولي عيد ومعه محمد صالح فهمي والشاعر صلاح أحمد محمد صالح وعبد الرحمن الخانجي وأحمد الزبير. تم تكوين لجنة النصوص وكان الإختيار للفنانين وإجازتهم يمر عن طريق هذه اللجنة والتي كانت لا تقبل إلا جيد الأعمال من شعر ولحن وأداء ، فكان هذا يستوجب التجويد في كل شيئ ، حتى أنه كان بعض الفنانون يقدمون الأغنية عدة مرات حتى تقتنع اللجنة بإجازتها حيث كان النقد بناءاً والفنانون قلوبهم رحبة لتقبل النقد والإستماع للنصح لمصلحة إستمرارهم ومنحهم الدرجة التي تناسب مؤهلاتهم. فقد كان التقسيم لدى لجنة النصوص يتدرج من فنان درجة أولى الى الثالثه وتتم الترقيات حسب التحسن الذي يحدث بالنسبة للمطرب. كان الفنانون أصدقاء وأحباء يستمعون إلى أغاني بعض ويسهموا بالنصح والنقد البناء بعيداً عن الحسد، لأنه لا زالت الماديات شيئاً لا يذكر في مجال الفن الغنائي، فالغناء في الإذاعة له مكافآت محدودة كتشجيع وحافز ولا يوجد إحتراف ،فكان الفنان يمارس بجانب الفن مهنة يكتسب منها ويعيش عليها. كانت أغنية "أذكريني يا حمامه" للفنان عبد الحميد يوسف وهيمن كلمات عتيق، هي الإمتحان الأول لأي مطرب يقف أمام لجنة النصوص لإجازة صوته، نسبة لجمالها من الناحية الفنية وأيضاً لا يستطيع أن يقلدها إلا فنان له ملكات صوتية عالية لما فيها من تطريب. كانت لجنة النصوص مكونة من شخصيات لها تخصصات وذوقها عالي وهم سعد الدين فوزي ومحمد عامر بشير الإعلامي المعروف وعبد الرحمن الخانجي الذي كان مديراً للإذاعة في فترة لاحقة وحسين طه زكي الذي كان أول من أدار الإذاعة منذ نشأتها وكيلاني. كان متولي عيد رئيساً للجنة النصوص فهو رجلاً قوي الشخصية صعباً في تقييمه للأعمال الغنائية

لا يجامل أبداً والفنانين كانت لهم ذكريات ومواقف مثيره مع هذا الرجل وإنتقاداته ولكن في النهاية كان له الفضل في إنتقاء كل ذلك الغناء الجميل الذي امتع جماهير الشعب السوداني إلى اليوم.

كان الغناء يتم أيضاً في المسارح بالنوادي الثقافيـــة ومـــسارح الـــسينمات وبيوت الأفراح والمناسبات الخيرية والإجتماعية وكان العائـــد المـــادي معقـــول وتشجيعي ولكن كان الفنان هو أسعدهم لأنه يستمتع بتقديم فنـــه وثنـــاء الجمـــاهير عليه.

في تلك الفترة ظهرت الروابط والمنتديات الفنية التي كان لها أثراً بارزاً في المنافسة في مجال الغناء والأتيان بالأعمال الجيدة. أقوى وأبرز هذه الروابط هـــى "رابطة حي العرب" بأم درمان ، ذلك الحي الذي قدم الي عالم الفن الغنائي وكـــرة القدم عمالقة لا يزالوا في ذاكرة الناس بما قدموه من أعمال خالدة ، فهذه الرابطـــة كان على راسها عباقرة ولا شك في عبقرية الشاعر الكبير والملحن القـــدير عبـــد الرحمن الريح الذي أخرج للساحة الغنائية درر من الأغنيات وعلى يديـــه تتلمـــذ عديد من رواد الغناء في السودان مثل الفنان عمر أحمد صاحب أغنية "كان بدري عليك" ورمضان حسن القادم من واد مدني وتقدم الى الساحة الفنية بخطى ثابتـــة وقدم أغنيات خالده مثل" الأمان" و"الزهور صاحية"و "بلادى" وأيضا الفنان إبراهيم عوض وأحمد الجابري وإبراهيم إدريس ود المقرن صاحب أغنية "أســـحار الجمال" والتاج مصطفى ورائعته "إنصاف" والكثير الكثير. فقد كان عبد الرحمن الريح من أكثر الشعراء إنتاجاً في مجال الأغنية السودانية. أيضا تضم هذه المدرسة الشاعر على محمود التنقاري الذي كان صديقاً لأهل الفن ومن الذين ساعدوا الفن ماديـــاً، فقد كان تاجراً معروفاً في سوق أم درمان وكان دكانه منتدى للفنانين. فقد غنت له عائشة الفلاتية الجميل من الغناء"الحبايب" و"التجني" و عثمان حسين غنى له "كيف لا أعشق جمالك " لكنه كان مقلُ في إنتاجه وليس مثل عبد الرحمن الريح فى كثرة الأنتاج الفنى، ومنتدى حي العرب قديم في العطاء فهذا الحي كـــان يـــسكن فيـــه المطربين القدامى ميرغنى المأمون وأحمد حسن جمعه وابراهيم عوض والجابرى ومن الشعراء الحديثون الطاهر إبراهيم وسيف الدسوقي. كـــان دكـــان الحـــلاق

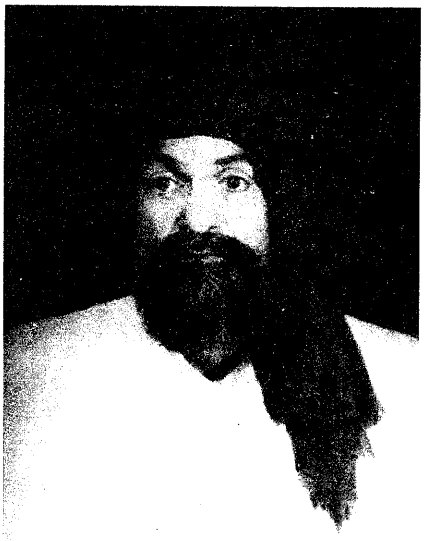

الشيخ الطيب السراج

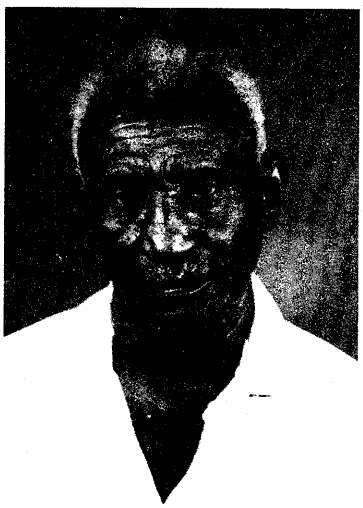

الشاعر محمد البشير عتيق

"عنبر" مكان مشهور يلتقي فيه أهل الفن، وهذا الدكان يقع في المحطة الوسطى بأم درمان ، فمنذ زمن الحقيبة كان يلتقي فيه الشعراء والفنانين الى أن تغير الموقع بعدها الى مقهى جورج مشرقي ، الذي أمه معظم أهل الفكر والسياسة والرياضة والشعراء والمغنين بمدينة أم درمان وغيرها، وكان معلماً بارزاً لزوار المدينة وكملتقى(والحديث عنه يحتاج إلى كتاب منفصل يحكي ذكريات هذا المقهى الذي يشابه في شهرته قهوة الفيشاوي في القاهرة من حيث الشهرة بروادة، من أهل الأدب والفن). لقد كان لهذا المقهى اسهاماً كبيراً في اثراء الحياة الاجتماعية في أم درمان وأسهم كثيراً في رفع المستوى الثقافي لأهل الفن لوجود شخصيات أدبيه وموظفين كبار وسياسيين كرواد مستديمين خاصة بعد إستقلال السودان .فأخذ مكانة نادى الخريجيين الذى قل الإقبال عليه بعد أن أدى مهمته القصوى إبان الحكم الإستعماري وكان الهدف هو جمع الخريجين والمستنيرين لمحاربة المستعمر ، فكان دوره سياسياً أكثر من دوره الإجتماعي.

أيضا لا بد لنا ان نذكر المنتديات الخاصة، التي أسهمت في حركة الفن الغنائي فمن أشهرها كان المنتدى المنزلي للشاعر المرحوم حسن عوض أبو العلا، فقد كان قبلة أهل المجتمع من مثقفين وفنانين وشعراء وزوار من صفوة المجتمع وعامته. فقد كان حسن عوض أبو العلا مقعداً إثر حادث حدث له أثناء دراسته في مصر وكان لهذا الحادث إستجابة من عطف ومواساة من كل اصدقائه ومعارفه و لذا كانت تقام ليالى الأنس في منزله في حي الشهداء با مدرمان للأستماع للجديد من الغناء وللترفيه عنه. ولقد نشأ الفنان أحمد المصطفى في هذه البيئة حيث أنه كان زميل صبا لحسن عوض. وفي هذا الدار إجتمع أهل الفن والثقافة وقدموا النصح والنقد للفنانين الجدد وللأعمال الجديدة. كان الفنان سيد خليفة الذي كان قد عاد لتوه من مصر بعد دراسة الموسيقى في معاهدها من رواد هذا المنتدى . إحمد المصطفى غنى لحسن عوض رائعته"سفري السبب لي عناي" وسيد خليفة غنى "ولي المساء" وهما من الإبداع الفني الراقي ولازالتا تحتلان مكاناً رفيعاً في الساحة الغنائية.

عائشة الفلاتية
رائدة الفن الغنائي النسائي الحديث

منى الخير
من رواد الفن الغنائي الحديث

أيضا ومن أشهر المنتديات كان منتدى الشيخ الطيب السراج، الذي كان له رواد كثيرون يأتون من كل مكان ليستمعوا الى ذلك العلم الغزير في اللغة العربية والآداب، ومن الفنانين الذين كانوا يترددون على منزل الشيخ الطيب السراج الفنان عبد العزيز محمد داؤود الذي استفاد كثيراً من هذا المنتدى وخاصة في النطق الصحيح للغة العربية ومخارج حروفها فالمستمع لعبد العزيز يلاحظ ذلك، فقلما يخطئ في نطق الكلمات العربية. فقد كان الشيخ الطيب السراج شديد النقد للذين يتحدثون اللغة العامية بأخطائها الكثيرة، ولا ننسى هنا أيضا مجهودات البروفسير على المك الصديق الشخصي لعبد العزيز فقد كانت له إسهامات أيضا في إخراج الجيد من أغانيه.

اما في مدينة الخرطوم فقد كان المنتدى المشهور وهو" رابطة السجانة للموسيقى و الفن"" التي كان ينتمي إليها من الفنانين عبد الحميد يوسف وعثمان حسين، التجاني مختار وحسن سليمان ومنى الخير والملحن القدير الخليل أحمد ومن الشعراء إ سماعيل حسن ومن العازفين عبد الله عربي وعبد الفتاح الله جابو عازفي الكمان المشهورين. كان يوجد تعاون وتبادل زيارات بين كل أفراد هذه الروابط الفنية وخاصة إنهم كانت تجمعهم الإذاعة السودانية في أم درمان ، فكان تلقائياً يجتمعوا في مقهى جورج مشرقي أو كما كان يسمى لبعض العامه "سوق الموية" ومن هذا المقهى يتوزع الفنانين الى ارتباطاتهم الغنائية سوى أن كان في الأفراح الخاصة أو المسارح او المناسبات الاجتماعية المختلفة.

في نهاية الخمسينيات بدأت الرحلات الفنية الى الأقطار المجاوره أثيوبيا وتشاد ونيجيريا والكمرون، والبلاد العربية. تكونت هذه المجموعات من فنانين مجهزين باوركسترا وبرامج معروفه،فقد كان لها أثر إيجابي عام على الموسيقى والغناء السوداني في إنفتاح الفن الغنائي السوداني على العالم الخارجي. فهذه الزيارات الفنيه خلقت مفهوماً متكاملاً عن طبيعتنا الفنيه و أسهمت في إيجاد علاقات و خدمت قضايانا السياسيه و سهلت المهام الدبلوماسيه.ففي الدول المجاوره مثل مصر،إثيوبيا وتشاد نجد أثر الفن السودانى بارزاً بين عامة تلك الشعوب ما ذُكر السودان فى أى مناسبةٍ .

كان عثمان حسين فى قمة عطائه فى فترة الخسينيات و الستينيات و عاصر فى هذه الفترة كثيرٍ من المطربين وأستطاع الأحتفاظ بمكانته الفنيه لأنه لم يجارى العمل السريع التجارى كما حدث لبعض المطربين الذين جاءوا وأندثروا بـــسرعه خياليه تاركين ورائهم أغنية أو أثنين.

نشأة الفنان عثمان حسين

وُلد المطرب عثمان حسين عام 1927م في جزيرة مقاشي (منطقة قبيلة الشايقيه) بشمال السودان في بيئة اشتهرت بجمال الطبيعة والخضرة ومياه النيل الصافي والحياة الوادعة. كانت حياته الأسرية عادية مثل حياة سائر الأسر السودانية في تلك المنطقة ، ناس بطبيعتهم يمتهنون الزراعة التي ورثوها عن آبائهم وجدودهم ويمتلكون شجر النخيل والماشيه، ويعيشون في إستقرار ورضا تام. إلا أنه في ذلك الزمان بدأ الناس ينزحون من الأقاليم الى المدن طلباً لحياة من نوع أفضل لهم ولأبنائهم الذين لا يستطيعون أن يجدوا المدارس النظامية في القرية ، ففي القرية تجد الدراسة تنتهي في (الخلوة)حيث يحفظ التلميذ جزء من القرآن الكريم ويتعلم الكتابة والقراءة فقط. ففي المدينة الوظيفة الثابته والدخل المستمر والتعليم للأبناء. لهذا هاجرت أسرة عثمان حسين الى الخرطوم في عام 1932م ليسكنوا في(ديم التعايشه) وهو حي من أحياء جنوب الخرطوم كان يضم مجموعة كبيرة من الأسر النازحه من شمال السودان وبعض القبائل الأخرى. التحق عثمان حسين بخلوة الشيخ محمد أحمد المشهورة في حي الديم حيث تعلم فيها اللغة العربية كتابةً ونطقاً وحفظ وقرأ القرآن ،و بعد إتمام عامين في الخلوة ، وفي سن السابعة إلتحق عثمان بالمدرسة الأولية "مدرسة ديم التعايشة الشرقية".و لم يمض وقتاً كبيراً في المدرسة الأولية ولم يطق دروسها وحياتها وتركها وهو لا يدري ما كان يخبئه القدر له.

إنخرط عثمان في عالم العمل الحر ليصبح ترزياً في سوق السجانة، وبدأ عثمان يسمع الأغاني من الفونغراف في ذلك الزمن ، أغاني سرور وكرومه وخليل فرح وكان يتردد على مجالس الذكر الصوفي في زاوية الخليفة عبد الجبار مع أقرانه في الحي ومنهم أيضاً شقيقه طه حسين. كل هذه المنتديات كانت قد أثرت في نفسه وأعطته ذوقاً فنياً وحركت ملكاته الدفينة وموهبته التي لم تُصقل بعد. لقد كان في الخرطوم القديمة مقاهي تقدم الشاي والقهوة وسماع الاسطوانات من الفونغراف فكان عثمان يتردد على تلك المقاهي في الخرطوم لسماع أغاني

عثمان حسين في لحظة تأمل

فناني ذلك الزمان. ففى هذه الفترة عمل عثمان كصبى ترزي اولاً ثم كترزي متمرس بدكان محمد صالح زهري باشا الذي كان هو أيضا يحب الموسيقى والفن وكانت المقاهي بالقرب من هذا الدكان ولذا كان من الميسور لعثمان أن يذهب بعض الأحيان لتلك المقاهي للإستماع للاسطوانات.

تفتحت مواهب عثمان الغنائية في هذا الحي(السجانة) المكان الذي يعشقه كثيراً ففيه تربى وبه كل أصدقائه ، تعلم عثمان العزف على العود على يد العازف الماهر يحي زاهر السادات الذي كان يعمل "ساعاتي" ولعله قريب الترزي صالح زهري باشا. ويقول عثمان هنا " أن أول آلة عود اقتناه كان سعره مائة وخمسة وعشرون قرشاً وأنه تعرف على العازف يحي زاهر السادات عن طريق صديقه وأبن الحي محمد على الجيلي الذي كان يحب الفن والفنانين وكانت له صلات قوية معهم وهنا في هذا الدكان تعرف عثمان حسين على أحمد عثمان (فني الأشعة) الذي كان من أمهر العازفين على آلة العود. وتعرف أيضاً من خلال تردده على دكان يحي زاهر السادات على الفنان أحمد المصطفى وحسن عطية (الملقب بأمير العود).و بعد ان أجاد عثمان العزف على آلة العود إتصل بالفنان عبد الحميد يوسف الذي كان يسكن في نفس الحي معه وبدأ يعزف له في الحفلات الخاصة حتى تعلم فن الإيقاع والإلقاء بمصاحبة الموسيقى.

كان يخفي هذا النشاط من الأسرة فقد كان أبوه رجلاً متديناً وكان يريد لعثمان أن يدرس في المعهد العلمي ليصبح شيخ دين، كطموح أهل الجيل القديم فقد كان رجل الدين يحظى بإحترام كبير في المجتمع السوداني القديم. ولذا كان الآباء يرون قمة العلم والأبهة في شيوخ الدين الإسلامي لما كانت لهم من مكانة ووقار. فعثمان يتمتع بشخصية تعكس مدى العمق الديني في نفسه ويحمل قيم نبيله ورفيعه تجدها عند السوداني الأصيل صاحب التنشئة الدينية وهذا ما ورثه من أسرته وكيفية تنشأته. فهو رجل تقاليد وقيم سودانية رفيعة تعكس الواقع الذي نشأ فيه ، فهو إنساناً متزناً في شخصيته شديد الحساسية تجاه النساء يتجلى هذا في تعامله السمح معهم . كان الشخص الوحيد في الأسرة الذي يعرف اهتمامات عثمان الفنية هو شقيقه الأكبر طه والذي شجعه على المضي في مساره حيث أنه

بنفسه صاحب ذوق للفن. فقد كان طه حسين يعلم بأن عثمان يقتني عوداً ويعزف عليه في حفلات خاصة للفنان عبد الحميد يوسف. وطه حسين كان يعمل كفني طباعة في مطبعة ماركوكوديل بالخرطوم وله صداقات في مجال عمله والذين في محيط الطبع والنشر.

يعتني عثمان حسين كثيراً بملبسه فهو رجل أنيق ذو ذوق رفيع في إقتناء ملابسه من حلل زاهية الألوان منسجمة مع الجسم والشخصية وهذا متوقع لأن حرفته حياكة الملابس ولكن الذوق الرفيع طبع في الشخص وكان يحيك حلله عند صديقه الترزي المشهور سلامه صالح وهو من أصدقائه المقربين الذين شاركوا في النقد واختيار الألحان لبعض الأغنيات الخالدة.

تزوج عثمان حسين في سن مبكره من سيده وقوره محترمه اعطته كثيراً من العطف والاحترام وانجبت له إبنين هما (حسن وصلاح) وكذلك بنتين هما (وداد وسهام) وهما متزوجتان ،وجميع أبناءه تخرجوا في الجامعات وهذه نعمة من الله وإنعكاس للتربية الحسنة ، كما له أبناء فله أيضاً أحفاد.

وعن فترة سكنه في حي السجانة يحدثنا عثمان قائلا: "أجمل أيامى هى التي عشتها في حى السجانة والتي أعتبرها وطني الثاني بعد الشمالية ، لأنها كانت مجموعة من الأصدقاء وكنا أولاد حلة وعندنا طموحات كثيره وكنا نستمع الى الموسيقار محمد عبد الوهاب وفيروز وكنا نحاول أن نفهم الكثير وكنا نجتمع دائماً في منزل الأخ عوض الله في السجانة ومعنا من الأصدقاء وأبناء الحي محمد على الجيلي وعبد الله عربي وعبد الفتاح الله جابو وحمزة سعيد وكان هدفنا التقرب للفن والفنانين وتَعرفنا في تلك الفترة على المطرب أحمد المصطفى الذي كان يأتي الى الدكان في السجانة بالعجلة ومعه العود وكان يسمعنا أغانيه وأتذكر اغنية كان يغنيها لنا مطلعها يقول:

يحلو الهوى لأهل الهوى لو كان هواك بهواك هواي
شيبني ومن قبل الأوان يا منيتي وأملي الوحيد

وكانت في تلك الفترة تُبث الأغاني على الهواء من الإذاعة السودانية في دارها بمنزل المرحوم عبيد عبد النور ولم يكن يوجد اي آلة تسجيل ولهذا لم تسجل هذه الأغنية.ثم بدأتُ أعشق أغنيات خليل فرح وكرومه والحاج محمد أحمد سرور وكنت مستمع مهتم جداً بالأغاني ولم أبدأ العزف والغناء بعد" كانت لصداقات عثمان أثراً كبيراً على فنه، فعلاقاته بما يكتنفها من الود والحب والإخاء شاهدُ حسن على مسيرته ، فكلِ من أصدقائه يثني عليه وعلى تعامله وخاصة في مجال الغناء فهو صديق حميم للفنانين والعازفين ولذا نجد الإنسجام ظاهراً بينه وبين العازفين الذين أخرجوا أجمل المعزوفات والأغاني المتقنة العزف بكل سهولة ويسر مع أداء عثمان المتميز.

اذاً السر في جمال أغنيات عثمان حسين عوامل متضافرة الكلمات الجميلة واللحن الجيد والعزف الممتاز والأداء والصوت المتميز.

عثمان حسين ينتقي من القصائد أجملها ولكن شعر حسين بازرعة كانت له خصوصية عنده وهى كانت أعمال فنية قوية المفعول والإنتشار وسألت عثمان ما هو السر في ذلك؟ فقال :لقد جمعتنا نفس الظروف ومرينا بنفس التجارب وكلمات حسين بازرعة ملهمة وطائعة للحن وهو سر القافية المستعملة ، وهي تتطابق وتنفعل بها الملكات عند الفنان.

هذه الجودة في الأداء أتت نتيجة لشخصية عثمان التي تتمي ـز بالثقة والإعتداد بالنفس فيما يقدم من عمل غنائي. فالشجاعة والإيمان بنضوج العمل وتحمل النقد وإنفعال الجمهور كان لها أثر كبير في ثقة الفنان بنفسه، فنشأته كفنان كانت على خطى ثابتة وتطور مدروس ذلك بإستعمال ملكاته الغنائية في حدود الموهبة ولا التصنع والتقليد الممجوج.

البداية واللقاء الأول

حسب ما ذكرتُ في الفصل السابق ان عثمان حسين كان يعزف على آلة العود مصاحباً للمطرب عبد الحميد يوسف في المناسبات والحفلات العامه، وكانت أغنية "اذكريني يا حمامة" من أشهر أغنياته وهى كلمات الشاعرمحمد البشير عتيق. وعبد الحميد يوسف كان فناناً موهوباً وهوأساساً يمتهن حرفة البناء فهومقاول ومطرب فى آن واحد. تأثر عثمان حسين بعبد الحميد يوسف وكان يردد أغنيته "اذكريني يا حمامة" فأعجب بها اصدقائه وشجعوه فى المضي في سبيل الغناء ومواصلة المشوار وخاصة وأنه كان عازف عود ماهر ترسم في عزفه طريقة الفنان حسن عطية (أمير العود) كما كان يُلقب. كان حسن عطية قد بدأ يغني أغنية "هل تدري يا نعسان" والتى هى أيضاً من كلمات الشاعر عتيق والتي هي أصلاً من أغنيات الفنان كرومه الخالدات والتى كان قد تغنى بها عدد من مطربى ومطربات ذلك الجيل وقد لاقت الأغنية رواجاً كبيراً في الساحة الغنائيةآنذاك. وبروز عتيق كشاعر لهاتين الأغنيتين جعل عثمان أن يُقْدم على التعاون مع الشاعرعتيق.فكانت بداية اللقاء أغنية "حارم وصلي مالك" كفاتحة للتعاون بينهما. لاقت الأغنية شهرة واسعة ،لأن كلماتها جميلة وأدائها رائع ويظهر في الأغنية تأثر عثمان بأداء حسن عطية.

كانت حياة الفنان واستمراره فى سلم الشهره يعتمد على دخوله دار الإذاعة وأجازة صوته وكلمات أغنيته و إلا فإن الظهور والانتشار لا يحدث. ولذا كان لزاماً على عثمان التقدم الى الإذاعة وإجازة صوته بعد أن شجعه أصدقائه وكان هو قد أدرك أنه وصل طور النضوج الفني الذى يؤهله لذلك. تقدم عثمان للإذاعة لإجازة صوته في عام 1947م وحالما بدأ الغناء في الإذاعة حتى بدأت جماهير المعجبين في ترديد أغانيه، معجبين بصوته الدافئ وبذلك أمتلك ناصية هامة في المجتمع وبين زملائه الفنانين.

وهنا ما قاله بروفسير الفاتح الطاهر بخصوص هذه البداية: قوبلت تجربة "حارم وصلى مالك" بالتقدير والإحترام ، وأدركت الجماهير إنها أمام موهبة

واعده، تمتلك موهبة التلحين وألاداء الممتـــاز. فالأغنيـــة ســـليمة وزنـــاً وقافيـــة والتغييرات اللحنية جميلة إنسيابية". وهذا نصها :

حـــارم وصـــلي مالـــك يـــا المفـــرد كمالـــك
انـــا واحـــد غرامـــي وأنـــا شـــاعر جمالـــك

* * *

مـــع طـــول إنـــصرامي وتعـــذيبي وضـــرامي
مـــا اســـتهواني غيـــرك ومـــا أتبـــدل غـــرامي
أســـهر ليلـــى وحـــدي أروي غنـــاك وحـــدي
وبـــي حـــسنك أختيالـــك لـــي قلبـــي إغتيالـــك

ولا زال شـــوقي نامـــي
اســـتلطف منامـــي وأستعطـــف خيالـــك

* * *

طـــرفي إذا تأمـــل
فـــي حـــسان المواكـــب وضـــياء الكـــواكب

والبـــدر المكمـــل
برضـــي أراهـــا دونـــك بـــل وحـــياة عيونـــك

انت لطيف وأجمـــل
يا حلو الأمـــاني ويـــا روح المعاني ويا لحن الأغـــاني
يـــا درة نظامـــي ويـــا زهـــرة ظلالـــك
انا واحـــد غرامـــي انـــا واحـــد غرامـــي

نُظمت هذه القصيده فى عـــام 1942 وهـــى تمتـــاز بجزالـــة اللفـــظ و الاوصاف الجمالية و الغزل العفيف و العاطفة المـــشبوبه.لحنهـــا جميـــل والأداء رائع.فالشاعر محمد البشير عتيق كان معاصراً فهو من مواليـــد حـــى أبـــو روف بامدرمان فى عام 1909وكان أن عمل فى السكك الحديدية فى أنحاء متفرقة فى السودان .كتب الشعر الغنائى فى عام 1930 وكان معجباً بأبي صلاح فى بداياتـــه و كان يكتب الشعر للمطرب كرومه وأستمر الى أن ألتقى مع عثمان حسين فـــى أغنية "حارم وصلى مالك " .فهو من فحول شعراء الأغنيه السودانيه وقد غنى لـــه

مطربون كثيرون غير كرومه. مع ظهور أغنية "حارم وصلى مالك"كان أن غنى المطرب أحمد المصطفى أغنيته المشهورة "انا أم درمان" كلمات الشاعر عبد المنعم عبد الحي وأخذت رواجاً كبيراً وخاصة كان العهد عهد أغاني وطنية والجمهور متشوق لإستقلال السودان، وهنا نظم الشاعر على محمود التنقاري قصيدة "انا بعشق أم درمان" والتي تغنى بها عثمان حسين، وتقول الأغنية في بعض مقاطعها:

انا بعشق أم درمان حب الوطن إيمان

وأعظم رسالة

لا شك هي أم درمان فيها الحياة ألوان

بأدب رفيع مزدان ترى في عيونه جنان

يلهيك عن لبنان بي ظلاله

لا يوجد تسجيل لها في الإذاعة ولكن عثمان حسين كان قدم نموذج منها في برنامج إذاعي في عيد رمضان عام 1991م. وهي أغنية جميلة ولها ميلودى رائع في الأداء والموسيقى كما غناها عثمان . وأتخيلها أجمل من ذلك كثيراً إن كانت كامله بمصاحبة الأوركسترا.

كانت الإذاعة السودانية تُصدر مجلة إسمها "هنا أم درمان" ويُنشر فيها بعض القصائد ، فقرأ فيها عثمان قصيدة وهي " اللقاء الأول" للشاعر قرشي محمد حسن ،وأعجب عثمان بهذه القصيدة الجميلة وشرع في تلحينها الى أن قدمها في الإذاعة وكانت حديث الجماهير حيث تفاعل معها المستمع بسرعة فائقة ،وكانت هذه القصيدة تعدُ خروجاً من النمط الشعري التقليدي و المعانى الحسيه الى عالم رومانسي ومعاني جديدة في الأغنية السودانيه الطويلة. وبدأ عثمان نوعاً من الأداء واللحن تميز به في أغنياته وهي المقدمة الموسيقية الطويلة وتعميق المفهوم والمعاني بإستعمال الموسيقى. لقد كانت مفاجأة للشاعر قرشي محمد حسن عندما سمع كلماته تُغنى للمرة الأولى.فهو برغم أنه شاعر لكنه أيضاً رجل سياسة فقد

الشاعر قرش محمد حسن

الفنان عثمان حسين

كان يعمل صحفيا في جريدة "الأمة" الناطقه بإسم حزب الأمة وكان على معرفة بشقيق عثمان حسين الأكبر طه حسين الذي كان يعمل في مطبعة ماكروكوديل حيث تُطبع جريدة"الأمة".و بعد هذا النجاح الذى لاقته هذه الاغنية قرر عثمان الاتصال بالشاعر قرشى لمزيدٍ من النصوص و لذا أخبر عثمان شقيقه طه أنه يريد مقابلة الشاعر قرشي للحصول على قصيدة اخرى منه. وكان له ما أراد حيث ذهبا سوياً لمقابلة قرشي محمد حسن في مكاتب جريدة"الأمة" وتم التعارف بين عثمان والشاعر قرشي ونتج عنه أغنية "الفراش الحائر" التى شغلت الجمهور طرباً لرقتها وملكت ساحة الغناء ردحاً من الزمن.

ونعود الآن إلى أغنية "اللقاء الأول" لأهميتها كبدايه لعثمان ولأنها كانت خطوة جريئة و ثابتة إلى الأمام في مشوار عثمان الفني ولونية جديده من الغناء. فنص القصيدة يقول:

يا حبيبي أقبل الليل علينا
وضفاف النيل قد أصغت إلينا
وحباب الكأس يخبو في يدينا
وارتشفناها تباعاً فمنا ارتوينا

يا حبيبي قلت لي
في اللقاء الأول
بين همس السنبل
وخرير الجدول
في المساء المقبل سوف تلقانى ولكن ما التقينا

* * *

أقبل الليل وصمت الليل طالا
وضياء البدر في الأفق تلالا
والربى أضفت حوالينا الظلالا
ثم ذاب الموج في الشط وسالا
قلت والكأس لديكا

ويـــــدي في خصلتيكـــا

هاتها مـــــن وجـــنتيك

واسقـــــنى من كفتـــيك

خمرة منها ما ارتوينـــا يـــوم عـــدنا وإلتقينـــا

وهنا يروى لنا الشاعر قرشي محمد حسن تجربته الشخصية مـــع عثمـــان حسين و هذا قوله:"كنت أول من دخل بيت الفنان عثمان حسين بالـــسجانة بأغنيـــة عربية فتحت الطريق أمام الآخرين وهي "اللقاء الأول" وهي أول أغنية غناها لـــي عثمان وكان أول المرشحين لغناء هذه الأغنية من قِبَل عثمان،هو الشاعر الغنـــائي حميده أبو عشر وتم تلحينها وأنا لا أعلم شيئاً وليست بيني وبين عثمـــان ســـابق معرفة لأنه وجد القصيدة منشورة في مجلة "هنا أم درمان" ثم تغنى بها على أمواج الأثير ولم أستمع إليها ولم اتوقع ما حدث. ثم لقيني صديق فشد على يدي مهنئا لي بأغنية "اللقاء الأول". ثم تابعت برنامج ما يطلبه المستمعون في الإذاعة فاســـتمعت إلى الأغنية. وأُعجبتُ بعثمان حسين لأسباب كثيره منها جمال صوته وحسن الأداء والموسيقى. ثم توثقت عرى الصداقة الفنية بيننا فكتبت له "الفراش الحائر" وكـــذلك قصيدة "خمرة العشاق" وكُنت السبب في فتح الطريق أمام الصديقين حسين بازرعة وصلاح احمد محمد صالح، والذى واصل المشوار الفني مع عثمان وتوقفت انـــا وصلاح احمد. أما أنا فشغلتني الحركة الوطنيـــة وعـــشت مـــع نكـــد صـــاحبتة الجلالـــة(الصحافة)- تلك هي تجربتي مع الفنان عثمان حسين وعشاق شـــعري. وعشاق عثمان حسين يسألون عن توقفي عن كتابة الأغنية وأنا لم أتوقـــف عـــن كتابة الشعر وأنا الآن بصدد تجميع قصائدي لإصدارها في ديوان سيبصر النـــور قريبا.فتحياتي للمعجبين بالصديق عثمان حسين الصاعد دائماً ودليـــل صـــعوده إن أسهمه مرتفعة لأنه فنان أصيل يتلقى الكلمة الخالدة المعبرة".

رحم الله الشاعر قرشي محمد حسن الذي قال هذا الحديث قبل وفاته بسنين قليلة وفعلاً صدر له ديوان في أجزاء عن الحركة الصوفية والـــشعر الـــصوفي. والشاعر قرشي محمد حسن من مواليد أم درمان من حي ود نوباوي. درس فـــي

خلوة جامع السيد عبد الرحمن التي كان يدرّس فيها الأديب آدم الخياط وبعدها ذهب الى المعهد العلمي بأم درمان وتخرج فيه وعمل بالصحافة والإعلام كل حياته. أولاً بصحيفة "الأمة" الناطقة بإسم حزب الأمة وحيث انه من أسرة أنصارية من أتباع الإمام المهدي- طيب الله ثراه- وعمل فترة لاحقه في وزارة الثقافة والإعلام وفي آخر أيامه تفرغ للتأليف حيث كتب عن الحركة الصوفية وأدبها.

نعود الى أغنية اللقاء الأول، شعراً، فهي قد نُظمت على منوال البحر البسيط وتمتاز بجودة الكلمات وفصاحتها والوصف الرومانسي البديع والأخيلة الواسعة. اللحن جميل ومتنوع ، الأداء عميق ومنسجم مع الكلمات ومعبر بالضغط على الكلمات وتطويلها مما يتيح وقتاً للسماع والتدبر والتعمق في المعاني ويقول عثمان حسين في هذا:"لولا الإمكانيات الموسيقية الضعيفة في ذلك الزمن لكان التوزيع الموسيقي أجمل والإخراج أبدع مما أُخرجت به في وقتها. لكنه برغم عدم الرضا الى حد ما، من عثمان وتعليله لذلك بضعف الإمكانيات وعدم إقتناعه بجودة العمل حينها والجودة الكاملة التى كان ينشدها، فإن المستمع له رأي آخر وهو إعجابه الشديد بها لدرجة أنها أصبحت من الأعمال الخالده. أستمع لها الجمهور لمدى خمسة عقود تقريبا ولا زالت بنفس الجمال والعشق الأول والدفء. تأثُر عثمان حسين بالمطرب المصرى محمد عبد الوهاب واضحاً في الوقفات الطويلة على الكلمات المؤثرة وأيضاً نلاحظ إطالة القافية بالموسيقى لإبراز بلاغة الشعر و بدون ذلك لكانت إلقاء شعرى عادي وسريع يفقد القصيدة معناها البلاغي والوصف الجميل. فقد خرج عثمان بهذه الأغنية من النطاق المحلي الى النطاق الفني العربي.

وكما سبق وأن ذكرنا أن الأغنية الثانية فى لقاء عثمان بقرشي محمد حسن كانت الفراش الحائر وكلماتها تقول:

الفراش الحائر

طاف الفراش الحائر ... مشتاق إلى زهراتك
حبيبي أه أنا غائر ... بخاف على وجناتك
حبيبي طرفي مسهد ... أراك قريب وأتنهد
ومرة فيك أتشهد ... انا قلبي آمن ووحد

بجمال صـــفاك وصـــفاتك صـــدقني بـــس وحياتـــك

* * *

أمنت بيـــــك يـــا نـــــاير لأنـــه مـــا فـــي مـــــثالك
انا حكمي لو كـــان جـــائر حكم سواي فـــي جمالـــك
للناس عقول وبـــصـــائر عن حكمي غاضب مالـــك

أنـــــت الجميل ومدلـــل
وعيوني فيـــــك تتأمـــل
وثانيـــــة مـــــا بتتحمـــــل ولـــشعوري مـــا بتمالـــك

امتازت أغنية "الفراش الحائر" بالمزج بين الكلمات العربية الفصحى مع اللغـــة الدارجة بطريقة منسجمة ومتداخلة بحيث لا يحس بـــالفرق إلا المتأمـــل الـــدقيق والملاحظ الجيد، ولا شك ان هذا الأسلوب الذي أُخرجت به تلك الأغنية راق فـــي اذن السامع. وحديث عثمان حسين عن هذه الأغنية و يقول "داومت على أســـلوب المقدمة الموسيقية الطويلة كالعادة وكانـــت إضـــافة لإســـلوب الأداء والإخـــراج الموسيقي في مسار الأغنية السودانية" كما أضاف عثمان آلة موسيقيه جديده و هى "الصفاره". الشاعر قرشي محمد حسن لم يعلق كثيراً على هذه الأغنية وإنما ذكـــر المناسبة التي كُتبت فيها وكانت في مناسبة حفل زواج في أم درمان وأنه اعجـــب بأداء عثمان حسين لها مما حدا به أن يعطي عثمان قصيدة أخرى وهي "خمـــرة العشاق". ونرجو ان تكون موجودة في مكتبة الإذاعة. كان أن شارك بالعزف فى أغنية الفراش الحائر، كلُ من عبد الله عربي وعبد الفتاح الله جابو والمرحوم علاء الدين حمزة والمرحوم أحمد حامد النقر وخواض على آلة الكمان وخمـــيس مقـــدم وخميس جوهرعلى آلتى الإيقاع وكان تقديمها أولاً على الهواء من الإذاعة ولكـــن على ما أعتقد قد تم تسجيلها في أسطوانة وشريط مغناطيسى وأرجـــو أن تكـــون محفوظة بشكلها الاصلى أو ربما دُمرت حين تم الإعتداء على المكتبة في زمان ما في الخمسينيات من القرن الماضى.و الذى حدث كما سمعته ان قام احد المسئولين بوزارة الأعلام آنذاك باصدار أوامر بحرق كل الأسطوانات القديمه وقد تم ذلـــك

فعلاً والذى من جرائه فقدنا تراثاً فنياً قيماً لا نستطيع تعويضه لأن من سجلوا تلك الأعمال قد توفى معظمهم.

لاشك أن تجربة عثمان حسين مع الشاعر قرشى كان لها إسهام كبير فى ترسيخ المسار الفنى والبدايه الجاده لعمل فنى كبير ظهرت نتائجه فى المراحل التى تلت هذه الفترة وكانت تمهيداً لأستقبال نمط جديد من النص الشعرى و مايتطلبه من خبره بفنون الكلمة.

القُبلة السكرى وقِمة الإبداع

في أواخر الأربعينيات كان ملتقى المجتمع السوداني الأم درماني بعلاقاته المتعدده في قهوة جورج مشرقي، و كان ذاك الجمع الذي يتردد على هذا المقهى مكوناً لكل فئات الإبداع فى المجتمع السودانى، من مثقفين وأدباء وكتاب ورياضيين وشعراء ومطربين وشخصيات عامه.وكان هذا المقهى يقع في شارع المحطة الوسطى مقابل لسينما برامبل سابقاً وبالقرب من سينما الوطنية ونادي الخريجين. وكانت كل وسائل المواصلات تمر أمامه، إلترام والتاكسي والبصات وهو تقريباً في قلب المدينة.

كان عثمان حسين يتردد على هذا المقهى من وقتٍ لإخر لمقابلة رصفائه من أهل الفن وغيرهم ، فهو رجل مجتمع، بعد أن صار معروفاً لدى الجميع بمفاجآته الغنائية التي سحرت معجبيه. وكان من ضمن الأصدقاء الذين يقابلهم في المقهى صديقه الشاعر قرشي محمد حسن. كان قرشي محمد حسن كرجل مهتم بالادب، يذهب بعض الأحيان إلى مدرسة وادي سيدنا الثانوية لحضور الجمعية الأدبية التى كانت تقام شهرياً. ووادي سيدنا كان بها نشاط أدبي ورياضي فريد مثل ما فى مدارس الصفوة الأخرى في السودان ، حنتوب وخور طقت وكان من المدرسين البارزين آنذاك الأستاذ أحمد محمد صالح(عضو مجلس السيادة السابق) والدكتور عبد الله الطيب والدكتور أحمد الطيب(رحمهم الله جميعاً) والأستاذ كرف. هذه الصفوة من الأساتذة كانت تهتم بالجمعية الأدبية وكانوا يشجعون الطلاب على إبراز مواهبهم من كتابة شعرٍ أو نثرٍ. كان الشاعر حسين بازرعة يكتب في الصفحة الأخيرة لجريدة الأمة وفي إحدى المرات نشر قصيدة القُبلة السكرى وهي لا تقل عن سبعين بيتاً من الشعر ودخل بها مسابقة مجلة هنا امدرمان وطلعت الثالثة من القصائد الفائزات. ففي احدى مناسبات الجمعية الأدبية وقف الطالب حسين بازرعة وألقى شعراً من كراسته أعجبت جميع سامعيه، وفي نهاية الندوة تقابل هو والأستاذ قرشي الذي هنأه على مستوى الشعر الذي ألقاه وفي أثناء الحديث عرف حسين بازرعة أن الشعر الجميل الذي يتغنى به عثمان حسين هو

شعر الأستاذ قرشي الذي يقف أمامه وهنا أبدى بازرعة حبه لغناء عثمان حسين وأنه يود لو يغني عثمان حسين إحدى قصائده. أتفق قرشي محمد حسن على الإلتقاء بحسين بازرعة ومقابلة المطرب عثمان حسين في مقهى جورج مشرقي في أحد أيام الخميس والتي عادة ما يحضر ابناء أم درمان إلى ذويهم لتقضية عطلة نهاية الأسبوع. كان للشاعر حسين بازرعة أصدقاء عديدين من أبناء أم درمان منهم الأستاذ عبد الرحمن محمد صالح سوار الذهب زميل فصله وعنبره في الداخلية والذي عادة ما يأتي حسين بازرعة معه إلى منزلهم في أم درمان لتمضية العطلة، والدكتور المرحوم عبد الرحمن أبوبكر الذي ذكر لي أنه كان زميلاً أيضاً للشاعر وهو ايضاً من أبناء أم درمان قد سرد لي كثيراً عن تلك الأيام والذكريات الحلوة التى كانت تكتنفها وكيف كان حسين بازرعة يأتي معهم إلى أم درمان ويقضون أوقات جميلة. طبعاً حسين بازرعة أساساً من شرق السودان ومن مدينة بورتسودان بالذات. وكان اللقاء بين بازرعة وقرشي محمد حسن و عثمان حسين و دار الحديث الشيق وقرأ بازرعة بعض قصائده وكان من ضمنها قصيدته "القبلة السكري" التي أُعجب بها عثمان حسين وقرر تلحينها وتقديمها للجمهور. كانت القصيدة طويلة ولكنه تم إختيار الأبيات التي أعجبت عثمان حسين و تناسب التلحين الذى اراده لها.

وُلد حسين محمد سعيد بازرعة في مدينة بورتسودان عام 1928م وكان والده سر تجار مدينة سواكن المهجورة قبل افتتاح ميناء بورتسودان عام 1908م وكان ابوه أديباً يحفظ الشعر وينظم بعض القصائد. وبعد وفاة الأب تولى الأعمال شقيقه الأكبر على بازرعة وكان رئيساً لفرع حزب الأمة ببورتسودان ووكيلاً للإمام السيد عبد الرحمن المهدي ــ طيب الله ثراه- ولذا كان الشاعر حسين بازرعة تربطه صلة قوية بآل المهدي. كان حسين بازرعة موهوباً منذ صغره وكان حسن الصوت ومتعدد الملكات – مثل لعب كرة القدم- فقد كان رئيساً لنادي حي العرب الشهير في بورتسودان لاحقاً – وكان على قدر من الوسامة والذكاء الحاد.

تلقى دراسته الثانوية في وادي سيدنا وكان قليلاً ما تجد أبناء من شرق السودان يأتون إلى الخرطوم أو أم درمان للدراسة في مدارسها، أولاً : لبعدها من بلادهم وثانياً لأختلاف عاداتهم وتقاليدهم عن بقية أهل السودان. تقريباً بعد جيل بازرعة أو الشخص الذي أتى بعده إلى وادي سيدنا كان الشاعر أبو آمنة وهو أيضا هدندوي من شرق السودان.

ظهرت موهبة بازرعة وانصقلت في وادي سيدنا التي ألهمته بجمالها وميادينها الخضراء وشاطئ النيل والطبيعة الخلابة، فكتب فيها أغنية"ليالي القمر" التى كانت من أولى الاغانى التى تغنى بها عثمان حسين في بداية لقائه مع بازرعة. بعد فترة وادي سيدنا رجع حسين بازرعة إلى بورتسودان حيث أمضى بضع سنين قبل إغترابه في جدة بالمملكة العربية السعودية حيث مكث إلى الآن، في غربة وعزلة حاول الكثير مقابلته وكسر جمود هذه العزلة ولم يفلحوا، فكل إنسان له عالمه الخاص. وأخيراً عاد الشاعر حسين بازرعة بعد تسعة وثلاثون سنة من الإغتراب.

كان الانسجام واضحاً منذ البداية بين كلمات بازرعة وتلحين وأداء عثمان حسين وهذا ما نراه في الأغنيات الخالدات التي تركوها لنا.

ونعود إلى أغنية القمه فى هذا اللقاء الفنى الفريد، أغنية "القبلة السكري" وهذا نصها:

القبلة السكرى

أتذكري في الدجى الساجي مدار ... حديثنا العذب
وفوق العشب نستلقى ... فنطوي صفحة الغيب
وإذا ما لاح نجم السعد ... نرشف خمرة الحب

* * *

أتذكري عهد لقيانا ... ويوم القبلة السكري
أقبل ثغرك الظامئ ... فقد لا تنفع الذكرى
وترقد في يدي كالطفل ... ألثم ثغرك العطري
وقطرات الندى الرقراق ... تعلو هامة الزهر

* * *

وألحـــان الهـــزار الطلـــق فـــوق خمائـــل النهـــر
ولمـــــا ينقـــضـــي الليـــل ويـــنعس ســـاقي الخمـــر

* * *

يـــرف الـــضـــوء كـــالحلم يـــسكب خمـــرة الفجـــر
أتـــذكري قبـــلتي والليـــل يـــروي طلـــعة البـــدر
وكيـــف أنـــاملي الحيـــري تـــداعب خـــصلة الـــشعر

* * *

وتـــنعس فـــي ظـــلال النـــور تحلمي بـــالهوى العـــذري
أتذكـــــري عهـــد لقيانـــا ويوم القـــبلة الـــسكري
أقبـــل ثغـــــرك الظـــامئ فقـــد لا تنفـــع الذكـــرى

نُظمت هذه القصيدة على منوال الشعر العربي التقليدي وباللغـــة العربيـــة الفصحى، رومانسية المعاني ترسَم فيها بازرعة خطى شعراء الرومانسية المحدثة وتبع خط أستاذه قرشي محمد حسن وفيها روح مـــن الـــشعر المهجـــري كـــنمط الشعراء، الياس الخوري وإيليا أبو ماضي. جاء اللحن متميزاً ومؤثراً كالعادة ، مع الضغط على الكلمات بالموسيقى لإبراز المعاني. عاشـــت الأغنيـــة فـــي وجـــدان المستمع السوداني وعجز المقلدون في أدائها لأنها تحتاج إلى ملكات عاليـــة فـــي الصوت.

ولم يمض من الزمن كثيراً إلا أن تناول عثمان حـــسين الأغنيـــة الثانيـــة لبازرعة وهي في مستوى القصيدة الأولى "القبلة السكري" عدا إنها حزينـــة فـــي المعنى والأداء والموسيقى وهي تجسيد لواقع الشاعر وأحاسيسه الدفينة وهي أغنية "الوكر المهجور" وتقول كلماتها:

الوكـر المهجور

كانـــــت لنـــــا أيـــــام فـــــي قلبـــــي ذكراهـــــا

مازلـــــت أطـــراهـــــا
ياليتنـــــــا عـــــــدنا أو عـــــادت الأيـــــام

إن أنســـــــى مـــا أنســـى
ذكراك يا سلمـــــــــــــــى
في وكرنا المسحور والصمت قد عم
تحلو لنا الشكوى والحـب والنجوى

لن أنسى نجواك والهمس والبسمة ... وحرارة الأنفاس في قبلتي لما
ضمـــــــتك يمـنـــــــاي ... يـــا سعـــــد دنيـــاي
وغفـــــوتِ فـــــي صـــــدري ... نـــــشوانه بـــــالأحلام

* * *

كيف أنس أيامي وفكرتي الكـبرى
يا وحي إلهامي أنا همت بالذكرى

ذكـــــــــرى لياليـــــــك ... فـــــي خـــــدر وأديـــــك
الليـــــــــل أهـــــــواه ... فـــــي شـــــعرك النـــــاعم
والـــــــنور والـــــــنوار ... فـــــي طرفـــــك الـــــساهر
لكـــــــن تباعـــــــدنا ... دهـــــراً ومـــــا عـــــدنا
للوكـــــــر يـــــا ســـــلمى ... أو عـــــــادت الأيـــــام

ذكر عثمان حسين عن أن لحن هذه القصيدة كان إلهاماً سريعاً فعندما كـان يركب السيارة هو وصديقه المرحوم سلامة صالح (الترزى المعروف) وهم فـي طريقهم إلى منتزه مقرن النيليين بدأ اللحن ينساب وتم التلحين. القصيدة تحمل فـي قلبها مأساة حب تجاوب معه العشاق. نُظمت القصيدة على منوال الشعر الحـديث وقد ألتزم الشاعر بالوزن وبالقافية.وهى تذكرنا قصيدة الشاعر المـصري علـى محمود طه المهندس "الجندول" التي غناها المطرب المصري محمد عبد الوهـاب، في ربط الأخيلة بالواقع. أجاد عثمان اللحن والأداء ولولا أدائه الجيد لكنت اشـك في إن هذه الكلمات ستخلد بل لذهبت رتيبة في أذن السامع ولصمت هذا الإبـداع بين رفوف مكتبة الإذاعة برغم ان مطربي ذلك الجيل كانوا مقتدرين ولكن السعيد هنا بالذكر يهتف من أعماقه وكان ما أرُيد لها على لسان عثمان حسين.

بهذه الأغنية خطا عثمان خطوة كبيرة إلى الأمام وازدادت ثقته فيما رأه من نجاح عَبر الجمهور من مستمعيه. كان الشاعر قرشي فخـوراً بأعمـال الثنـائي ونجاحاتهم وما حققه هو من نجاح في التقاء حسين بازرعة بعثمان حسين.

رجع حسين بازرعة الى بورتسودان ليعيش بين أهلـه وعـشيرته وأرض إلهامه وأرض مأساته. وكان عثمان حسين يزوره من حين إلى آخر، خاصة فـي فصل الشتاء الجميل في بورتسودان. ومنها توالت القـصائد،(لا وحبـك) (أجمـل أيامي) و(أنا والنجم والمساء) و(ناداني غرامك) والأخريات مـن الـدرر. وذكـر عثمان حسين هذه الفترة، بأنه كان يتلقى رسائل بازرعة وفيها القصائد التي كـان الجمهور في إنتظارها بشوق كبير. تم تلحين بعض هذه القصائد فـي الخرطـوم وبعضها في بورتسودان.

سألت عثمان، لماذا لم يستطع المقلدون تقليد ادائك؟ وكان جوابه "قـال أن كل صاحب موهبة له قدرات معينة لا يستطيع أن يجيـدها غيـره وإن المطـرب الأصيل دائما لا يخاف على فنه ولا من المقلدين ولكنه يغار على أغنياته فعنـدما يسمع أغنيته في الوسائل الإعلامية فإنه يخاف ويغير عليها"وهذا لا شـك عـشق للفن.

في زياراته للقاهرة طلباً للراحة والإستجمام وأيضاً فى الخرطـوم إلتقـى عثمان حسين بالشاعر عبد المنعم عبد الحي في أغنيتين رائعتين هما "ياناس لا لا" و"أوراق الخريف" و الثالثه كانت "ندامى الراح" .وألحديث هنا للشاعر عبد المـنعم عبد الحى عن ذكرياته مع عثمان حسين فيقول " عثمان حسين من أعز أصـدقائى و هو يتميز فى ألحانه بنوع من الحنان و بعض الناس يعزو لألحان الشايقيه ... و على أى حال فعثمان ينفرد برضه برنة حنية فى صوته تخلى الواحد يطرب ليهـو بسرعة و على الرغم إن صداقتنا امتدت عبر سنين لكن عثمان ما غنى لى غيـر ثلاث اغنيات اشهرها "يا ناس لا لا" . وناس لا لا بعد ما أشتهرت، النـاس ألفـوا ليها قصص و روايات، وهى بريئة من كل الحاجات دى. قصة الاغنية دى، إنـه عثمان كان عنده اللحن فى رأسه و كان يردد وهو ممسكاً بالعود كلمة لا لا... للا و بعدين أنا جانى الخاطر وكتبت الاغنيه دى".

في أواخر الخمسينيات ظهر مطربون جدد بأغاني خفيفة وسريعة وكان لا بد لعثمان حسين مجاراة الفترة فالتقى بالشاعر السر دوليب الذي كان صديقا له ومن عشاق فنه فكتب له الأغاني الخفيفة حسب طلب جمهور الفترة فكانت"ريدتنا ومحبتنا" و"أنا طول الليل" و"مابصدقكم". كان الإيقاع المطلوب سريعاً لزوم الفرح والرقص ، خاصة بعد إستقلال السودان والشعب فرحان طرباً بالعهد الوطني الجديد. ويمكن أخذ نموذج لشعر السر دوليب وهو أغنية "حبيب الروح":

حبيب الروح

لو قلتوا حبيبي سلاني ... ودع حبي ونساني
ما بصدقكم ... دا حبيب الروح بالروح

* * *

أنا عارف حبه إلي ... داري بعطفه علي
نساني غرامي البيا ... قاسمني الليالي الهنيا
ضم الفؤاد ذكراها ... أزكى الخيال معناها
ولوقلتوا حبيبي سلاني ... ما بصدقكم

* * *

غرامنا أسمى غرام ... ما بطولو أي حسود
زايد مع الأيام ... وتصونه أغلى عهود
حبيبي العهود راعيها ... مهما الزمن طال بيها
لو قلتوا لي ناسيها ... ما بصدقكم

* * *

خلاص إتجمعوا القلبين ... خلاص أتوحدوا الأملين
مهما تقولوا ظلمني ... مهما تقولوا هجرني
لو باع حبي وخدعني ... ما بصدقكم

دا حبيب الروح بالروح

هي نظم باللغة الدارجية السودانية أو لغة ام درمان. القصيدة جميلة المعاني والأخيلة مناسبة للتلحين ومن أجمل ما غنى عثمان حسين وهي التي وضعت الشاعر السر دوليب في المقدمة كشاعر مرموق وعموماً كان إختيار عثمان موفقاً

وهو له ذوق رفيع في انتقاء الكلمات. هذه الأغنية و"ريدتنا ومحبتنا"و"أنا بشكى طول الليل" وضعوا السر دوليب في مكانة شهرة كشاعر غنائي يستطيع ان يكتب شعراً مطلوب للمطربين الآخرين وهذا ما حدث.فقد كتب الأستاذ السر دوليب قصائد كثيره لمطربين آخرين.

والأغنية التي مثلت الفرح والمرح والتفاؤل والحزن النبيل الجميل هي أغنيةٌ من نظم الشاعر السر دوليب وتعتبر من أغاني فترة منتصف الخمسينيات من القرن الماضي مع إستقلال السوداني وموجة الفرح كتب لنا نص (ريدتنا ومحبتنا) كنص خفيف وراقص ونجح عثمان حسين كثيراً في تلحين هذا النص وتقديمه بصورة أسعدت الجماهير السودانية . تعتبر هذه الأغنية من الأغاني التي خرجت عن النمط المعروف الذي عرف به عثمان حسين والشاعر حسين بازرعة في أغانيه الطوال . موضوع هذه الأغنية مناجاة عاطفية بريئة مليئة بالتفاؤل والعمل وتخاطب وجدان المستمع السوداني خاصةً الشباب المتطلع إلى الحب والمستقبل :

ريدتنا ومحبتنا

ريدتنا ... ومحبتنا وليالي .. هنانا

إنشاء الله تدوم
نتهنا ... ونتمنا ونعيش في صفانا

****

يا نعيم الروح سامرني بالشوق والريد كلمني

عن أحلامنا
عن آمالنا
والمستقبل القدامنا
نبنيه ... ونحميه من حسادنا ... من عزالنا

****

أفراحنا .. تهل في ربوعنا أحبابنا .. يضوي شموعنا

في دنيانا
ما أحلانا

وأرواحنـــا الهيمانـــا
نتلاقـــــا ... مـــــشتاقة لغرامنا .. وهنـــا أيامنـــا

****

يا حبيب يلاك فـــي طريقنـــا زادنـــا الريـــد ورفيقنـــا
نمشي.. برانـــــا
مـــا همـــانـــا
إلا ..الحب الضمانا
هادينـــــا .. وحادينـــــا في رحلتنـــا لـــي آمالنـــا

السر دوليب شاعر رقيق حساس وهو من أبناء مدينة أم درمان. وقد عمـــل بالتدريس ولا يزال فهو إنسان إجتماعي من الدرجة الأولى وصاحب علاقات أدبية متميزة هم" أخوان الصفا" وهم مجموعة اصدقاء جمع بينهم الأدب .تغـــرب فـــي حياته مرتين عندما ذهب للدراسة بمدرسة خور طقت الثانوية بكردفان والثانية في بيروت عاصمة لبنان حيث حصل على ماجـــستير فـــي التربيـــة مـــن الجامعـــة الأمريكية. وهو حالياً استاذ (بروفيسور) في علم النفس بجامعة الأحفـــاد . مـــن الفنانين الذين تغنوا بأغنياته الأستاذ محمد ميرغني. ورحلة السر دوليب مع عثمان حسين أخذت فترة، منذ آخر الخمسينيات الى أول الستينيات شملت عـــدة أغـــاني شيقة ومن الخالدات أغنية "قلبي فاكرك". وفي هذه الفترة غنى عثمان حسين أغنية "طيبة الأخلاق" للشاعر خضر حسن سعد، كانت أغنيـــة خفيفـــة تجـــاوب معهـــا الجمهور خاصة النساء في حفلات الأعراس لأنها كانت فلكلوريـــة تهـــتم بـــالقيم السودانية. سمعتها كثيراً في تلك المناسبات والبنات كانوا يغنونها بطريقة جميلـــة وكورس بديع.

كانت أولى حفلات عثمان حسين على المسرح في عام 1948م في نـــادي الخرجين بأم درمان في حفل غنى فيه الفنانون إبراهيم عبـــد الجليـــل و الكاشـــف وعثمان الشفيع وأحمد المصطفى وغنى فيها عثمان أغنية "حارم وصـــلي مالـــك" و"طيبة الأخلاق" وكان إنفتاحاً على الجمهور وبناية ثقة قوية في أعماله الفنية.الثقة التي يحتاج إليها اي فنان في بداية مشواره. لقد ذكر عثمان انه عندما دخـــل فـــي التسجيل على الأسطوانات في الإذاعة السودانية،كان قد سجل أغنيـــة "لاتـــسلني"

للشاعر بازرعة وكان خائفاً لأنه سوف يسمع لأول مرة تسجيلاً لأغنياتـــه، فكـــان اليوم جمعة عندما ذهب إلى رحلة مع أصدقائه خارج مدينة الخرطوم وكان يترقب المذياع لمواعيد إذاعة برنامج ما يطلبه المستمعون، حيث تقدم الأغاني المفـــضلة وبطلب و اختيار الجمهور وفعلاً إستمع إلى الأغنية وكان شعوره ممزوج بالخوف والرهبة ، ولكن أصدقائه هنئونه وسعدوا كثيراً بالتسجيل مما أعطاه شعوراً قويـــاً بالثقة في عمله الفني.

الرومانسية والطبيعة (ليالي القمر)

ولا زال شاعر الرومانسية الحديثة حسين بازرعة يكتب النصوص الشعرية الجميلة لصديقه عثمان حسين بعد النجاح الذي لاقاه في أغانيه الأوائل (القبلة السكرى ، الوكر المهجور). حسين بازرعة ما زال طالباً في مدرسة وادي سيدنا الثانوية والشاعر يتذكر تلك الأيام بقوله :

" كانت وادي سيدنا ذات طبيعة خلابة بها ميادين كرة القدم الخضراء التي كنا نلعب فيها وبجانبنا نهر النيل منساباً إلى الشمال" . أثرت هذه الطبيعة الخلابة في الشاعر وألف لنا أغنية ليالي القمر كإبداع رومانسي ووصف للطبيعة مستلهماً تلك البيئة والطبيعة التي يعيش فيها متصوراً محبوبته معه في تلك الجنة الصغيرة سابحاً في الفضاءات حيث يسمو الإنسان إلى العوالم اللانهائية.

ليالي القمر

يا ليالي القمر يا ليالي الغرام طاب فيك السمر ما لي عيني منام

* * *

في ظلال الربى وضفاف الغدير حين يسري الصبا بالشذى والعبير
نتساقى الهوى بأقداح السرور والندى والظلال والمنى والخيال
والهوى والجمال هنا كلها لا تزال ننتشي بالثنى في اللقاء الأخير

* * *

بين كأس تدور يسقينيها النديم ذات لون ونور من شعاع النجوم
في معاني الزهور وظلام الكروم كم أسرنا الغزل بحديث المقل
وروتنا القبل بالمنى والأمل يا ليالي القمر طاب فيك السمر

تشبه القصيدة في شكلها شعر المهجريين ويظهر هنا تأثر الشاعر بمدرسة أبولو الشعرية رائدة الرومانسية في الشعر العربي الحديث . وخير الشاعر ألفاظ وأخيلة جميلة جداً . نظمت القصيدة باللغة العربية الفصحى وحسين بازرعة من رواد هذا الفن في الأغنية السودانية الحديثة. لحنها جميل جداً حيث أن عثمان حسين قد أوفاها حقها من اللحن والأداء الذي تميز به في مثل هذه الأغاني وهو أداء إمتاز به عن غيره من الفنانين المعاصرين له في تلك الفترة . عثمان حسين

ذكر بأنه دائماً يبدأ بقراءة نص القصيدة ويعيش مع الكلمات لفترة من الزمن حتى تصبح هذه الكلمات جزء منه ، ثم يبدأ اللحن في الإنسياب تلقائياً مهتدياً بالإيحاء من هذه الكلمات. كانت هي هذه الوسيلة التي تبعها في كل نصوص الشاعر حسين بازرعة . لا شك أن كانت أغنية ليالي القمر من الأغاني التي أخذت مكانتها في ذلك الزمن في بداية الخمسينيات فهي قد تم تأليفها في بداية عام 1951م تقريباً بعد أن إستمع الناس إلى الأغاني الأولى من نظم حسين بازرعة " القبلة السكرى والوكر المهجور " التي فتحت آفاق الناس إلى هذا النمط من الغناء والذي كان جديداً على ساحة المستمع السوداني ، فعثمان حسين والشاعر حسين بازرعة قد أحدثوا نقلة كبيرة في الفن الغنائي السوداني ذلك بإستحداث نمط جديد من الأغنية ، كلماتها مزج بين اللغة العربية الفصحى والدارجة وموضوع أغنية رومانسية بديعة وعواطف مشبوبة بالحرمان والحزن ولحناً يأتي بمقدمة موسيقية قبل الدخول إلى كلمات الأغنية وأداء يبرز ويركز على معاني الأغنية من خلال التركيز في نطق الكلمات.

النضوج والإرتقاء الفني

كانت فترة النضوج الفني لعثمان حسين هي الفترة بين الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى. فقد كانت الإذاعة هي العنصر الإعلامي الوحيد للمطرب المبدع كى يقدم أغنياته للجمهور. فاحتلال أي حيز زمني في برنامج يعتمد على الفنان وقدرته على الإبداع والتجديد، وكان على رأس الإذاعة جهاز إداري قوي وكفء، يتكون من المرحوم متولي عيد ومحمد صالح فهمي وصلاح أحمد محمد صالح وعلى شمو والمبارك إبراهيم. وكان للإذاعة متعاونون على درجة عالية من الثقافة والخبره و المعرفه كانوا لا يتهاونوا في رفض العمل الردئ ولا يترددوا في إجازة العمل الجيد.

كانت تربط عثمان حسين علاقة حميمة مع الشاعر والمذيع آنذاك صلاح أحمد محمد صالح والحديث عن صلاح أحمد يحتاج نفسه الى كتاب، فهو ذلك الشاعر الدبلوماسي الرقيق المهذب الذي لا يمل الانسان من الجلوس معه لحلاوة حديثه. تم اللقاء الفني بينه وبين عثمان بانتاج رائع في أغنيتين "وداعاً يا غرامي" و"مات الهوى" كامتداد للفن الجميل الذي قدمه عثمان. أغنية "مات الهوى" عبارة عن سجال ومحاورة تجسد معاناة الحب والحرمان وهي تخاطب وجدان كثيرٍ من الشباب السوداني آنذاك. لم يبخل عثمان من وضع مواهبه على الكلمات والخروج باللحن والأداء الذي يطابق معاني القصيدة.يعتبر أهم عنصر في النجاح هو الأختيار الصحيح للنص الشعرى وهذا ما يفعله عثمان دائماً فهو لا يقبل إلا الجيد الممتاز من الشعر الغنائي، ولا يغني إلا لكلمات ينفعل لها ويعيش معها ولكن و بموهبته الفنية العالية كان إدراكه لهذه المعاني سريعا ولذا لم يأخذ تلحين "مات الهوى" أكثر من أسبوع. يمكننا أخذ نص الأغنية كنموذج لهذا اللقاء الفني:

مات الهوى

أنا المظلوم جفاني حبيب	فراقه حار لي لهيب
أنا الحبيت وما خنت	ولعهود الوداد صنت
قضيت العمر في هواهم	نسيت الدنيا إلا هم
فلما نالوا مرماهم جفوني	وقالوا حبي جنون

* * *

أنـــا الأغـــــروني بالجنـــة جعلت غـــــرامهم ســـنه
ســـكبت دمـــوع فـــي نجـــواهم وهبت الـــــروح للقيـــاهم
وأصـــلوا الحـــب فـــي دنيـــاهم خداع ونفـــاق وملعـــب زور
خـــلاص يـــا قلبـــي جـــافوك نسوا الإخـــلاص ونـــسيوك

* * *

فحـــــاول إنـــت أنـــساهم ولا تحـــــــفل لـــذكراهم
وقـــول للماشـــي يغـــشاهم أمانة تقـــول لمـــن هجـــروا
فـــراقن لينـــا أمـــره مريـــب محال ينفع أســـير وطبيـــب

تجاوب المجتمع بأسره مع هذه الأغنية وكان لها مستمعين مخصوصين من أهل الثقافة والفن، ودخلت مع عثمان الى الصالونات الأدبية ، وصار عضوا فـــي حلقة الأستاذ عبد الله حامد الأمين و هو احد المنتديات الأدبيه المشهوره فى ذلـــك الزمان. وكان النقاش فى تلك الندوه الأدبيه جاداً الى أحداث نهضة ثقافيـــة فنيـــة رفيعة. إقترح الأستاذ عبد الله حامد الأمين لعثمان أن يغني "في محـــراب النيـــل" للشاعر العملاق التجاني يوسف بشير،(والتجاني يوسف بشير غنىٌ عن التعريـــف ،فهو ذلك الشاعر الذي ركعت له أقلام النقـــاد بـــالاحترام ، كـــشاعر الـــسودان الأول)،لم يتردد عثمان في تلحين القصيدة الجميلة التي أخرجها عثمان في شـــكل لوحة موسيقية في شكل أوركسترالى بديع. إنها سيمفونية عثمان الوحيدة، فيها من الحركة الموسيقية والعنف الموسيقي الذي يتحدى الأذان المـــستمعة بـــالتنوع فـــى اللحن.ومع تزايد الإمكانيات الفنية وظهور الاوركسترا العلمية بعـــد قيـــام معهـــد الموسيقى والمسرح حيث الدراسة الأكاديمية الجادة ، استطاع عثمان أن يخرجهـــا في أجمل حللها.

كان لظهور الترانسيـــستور (الراديـــو الـــصغير الـــذي يعمـــل باصـــابع البطاريات)دوراً كبيراً في نشر الغناء في السودان.ففي ذلـــك العهـــد تـــستطيع أن تستمع للراديو وأنت مسافر بالقطار أو راكباً السيارة أو في كل مكان تقريباً بفضل هذا الأختراع الجديد.وذلك ما أتاح فرصة كبيرة لانتشار الأغاني . ولكـــن كانـــت الثورة الحقيقية في الإعلام هى فى إنتاج المسجلات من الحجم الكبير التـــى يـــتم التسجيل فيها بواسطة الشريط المغناطيسى الى أن ظهر الكاسيت، فصار الغناء في

متناول المستمع ويستطيع الشخص أن يسجل ويسمع ما يحب من الأغاني. بالنسبة للإذاعة السودانية كان ظهور المسجل الذي يعمل بالشرائط المغناطيسية هو أهم عنصر في حفظ التراث الفني والغنائي خاصة. وهنا بدأت حملة التسجيلات لهذا التراث الذي انتجه المطربون السودانيون فى مختلف الأزمنه، ونتمنى أن تكون الإذاعة السودانية لا زالت تعتني بحفظ هذا التراث الفني الجميل. فالتوثيق للفن هو حفظ تراث امة. ولا شك في أن ما قام به المبارك إبراهيم وصلاح أحمد وعلى شمو وعدد من الذين عملوا في الإذاعة وسجلوا هذا التراث القيم وحفظوه، لعمل يستحقون به أرفع الأوسمة من الحكومة والشعب السوداني. وأخيراً عملية التوثيق الذي يقوم بها عمر الجزلي في برنامجه التلفزيوني "أسماء في حياتنا" الذي ظهر فيه الذين أضافوا لتراثنا من هؤلاء العمالقة من الفنانين والشعراء الذين كانوا ضيوفاً على البرنامج. له منا جزيل الشكر والعرفان لهذا المجهود القيم.

إمتازت أيضاً الفترة بين الخمسينيات والستينيات بظهور الأفلام الغنائية التوثيقية وكان الرائد في هذا المجال وزارة الإستعلامات والعمل آنذاك وكان على رأسها الوزير اللواء محمد طلعت فريد (رحمه الله) فأنشأ وحدة الإنتاج السينمائي ووضع على إدارتها العم جاد الله جباره وهو صديق ورفيق سلاح للواء طلعت، كمال الدين ابراهيم والعم جاد الله مصوراً بارعاً فأنتج أفلام وثائقية غنائية لازالت موجودة و استفاد منها التلفزيون كثيراً. سجل عثمان حسين في هذه الأفلام نشيد"أرضنا الطيبة" كلمات بازرعة وفيلم "لا وحبك" مع الممثلة نعمات حماد. كان هذين الفيلمين يعرضان بواسطة السينما في كل أنحاء السودان وخاصة السينما المتجولة التي كانت تطوف الأحياء لتعرض الأفلام السودانية. كانت فرحة الجمهور كبيرة وهم يشاهدون تلك الأفلام. كان عثمان ممثلاً قديراً ،فهذه إحدى المواهب التي أكتُشفت فيه. كان الفيلم كله غنائي مع بعض المناظر الخلفية لمدينة الخرطوم. كان الموتاج بدائي لقلة الإمكانات الفنية وعدم وجود كادر فني للسينما بالسودان ولكنها بداية عظيمة ولم تستمر طويلاً،لأنه تم أنشاء محطة التلفزيون السوداني التي أخذت على عاتقها العبء وتركت وحدة السينما بلا عمل.

غنى عثمان ثنائياً مع محمد الحويج في أغنية "كلمة" تأليف عبد الله حامد الأمين وكانت هي المرة الأولى والأخيرة لعثمان في الغناء الجماعي عدا بعض الأناشيد الوطنيه التى قدمتها مجموعة الفنانيين على المسرح القومى بامدرمان كمساهمة فى الأحتفالات القوميه. كان عثمان فناناً صاعداً وسط مجموعة من الفنانيين والشعراء الجدد. وكان لابد أن يواكب المرحلة فغنى للشاعر محجوب سراج أغنية "أحبك" ولزين عباس عماره"أوعديني" مستعملاً الكورس الرجالي وتجسيد أحداث القصيدة موسيقياً وكانت بالنسبة لعثمان خروج من الخط الذي رسمه لأغنياته برغم روعتها.

كان عصر النهضة الفنية في ما يسمى بعصر الرواد أي رواد الأغنية الحديثة ذاخراً بكوكبة من المطربين والموهوبين حيث كان لا مجال إلا للمطرب الموهوب، واخونا الشاعر سيف الدسوقى يشبهه بالعصر العباسي حيث كان الادب العربى فى قمته.وظهور الموهوبون في فترة إضراب الفنانين الذي حدث في الخمسينيات حين اختلف المطربون مع إدارة الإذاعة فى شروط استحقاقاتهم. ظهر في هذه الفترة الفنانون رمضان حسن وصلاح مصطفى وغيرهم في مجال الغناء الشعبي كالفنان محمد أحمد عوض.فقد كانت مفاجأة لأنهم قدموا عملاً فنياً رائعاً.

كان المسرح القومي الذي أُفتتح بواسطة اللواء طلعت فريد وكان ذلك إبان زيارة الرئيس الراحل جمال عبد الناصرفي عام 1960م،كأول مسرح يُنشأ على المستوى العالمي. والذي فتح باباً كبيراً للنهضة المسرحية والغنائية الى الآن . بدأت الفرق الأجنبية تفد لزيارة السودان من كل أنحاء العالم لتقديم عروضها، وأشهر من قدم عرضاً في هذا المسرح كان الفنان العالمي لوي ارمسترونج ملك الجاز في العالم وهو أصلاً زنجي أمريكي من ولاية الأباما ومن مدينة نيوأورليانز موطن موسيقى الجاز. وأيضاً فرقة "أضواء المدينة" صاحبة الأوركسترا الماسية بقيادة الموسيقار احمد فؤاد حسن والمطربين المصريين ،فايزة أحمد ونجاة الصغيرة والمنلوجست محمود شكوكو وصاحب النكات المشهورة أحمد الحداد. وكذلك حضرت فرقة الإمبراطور هيلاسلاسي والتى كانت من أجمل الفرق التي شاهدها الشعب السوداني غناءاً ورقصاً،والسبب فى ذلك الأهتمام الكبير الذى كان

يوليه لها الأمبراطور نفسه ولأنها كانت فرقته الخاصة وكان من نجومها المشهورين الفنان "منليك" والفنان"تلهون" و"أسقدي جتاهو" والفنانة الرقيقة "نيللا" صاحبة الصوت الملائكي. وكذلك فرقة الأكروبات الصينية التي قدمت عروض شيقة وعلى إثرها تم إيفاد تيم من الأطفال السودانيين لتعلم فن الأكروبات في الصين وقدموا عروضاً جميلة مثل ما فعل الصينيين من قبل. ومن الفرق التي ادهشت الجمهور فرقة التزحلق على الجليد الأمريكية التي صنعت هضبة من الثلج على أرضية المسرح لكي يؤدي أفرادها فنونهم وكانت هذه العروض غريبة حيث لا يوجد مناخ للثلج في السودان البلد الاستوائي الصحراوي.

والحقيقة كان عدداً كبيراً من الفرق الأجنبية أتت من كل أنحاء العالم لتؤدي عروضها في السودان. والغريب في الأمر ان بعض فناني تلك الفرق قد عمل محاولات جادة لتقليد بعض الفنانين السودانيين،؟ مثال لذلك بعض الفنانيين الأثيوبيين "منليك" و"تلهون" وغيرهم. وكذلك الصينيين فعلوا نفس الشئ.

نعود الآن الى المهرجانات الشعبية التي أقيمت على هذا المسرح والتي اضافت كثيراً لعصر النهوض والإرتقاء بالفن الغنائي السوداني. كانت الفكرة أساساً من اللواء طلعت فريد ووكيل وزارته محمد عامر بشير(فوراوي)،وهي ان يدعوا كل الفرق الشعبية والمطربين بالأقاليم لحضور مهرجان على المسرح القومي، كعمل ثقافي قومي لكل أنواع الفنون الغنائية والشعبية. وكان ما أريد وبدأت العروض في هذا المسرح القائم الآن بأم درمان وبرزت مواهب متعددة من فنانين سودانيين أثروا الساحة الغنائية بالجميل الذي لا ينسى أبداً مثال منهم الفنان الطيب عبد الله القادم من شندي-شمال السودان والمطربة أم بلينة السنوسي القادمة من كردفان – و من مروي، المديرية الشمالية كان الفنان إدريس إبراهيم واسحق كرم الله و النعام آدم، من نفس المنطقة – منطقة الشايقية- وما أجمل غنائهم وموسيقى الطنبور الشجية العذبة الحنينة. وكذلك ثنائي السنغم و"ثنائي الجزيرة" ورهط من المطربين لا أتذكرهم كلهم ولكنها كانت ذكريات حميمة باقية في النفس. وفي نفس هذه الفترة التقى عثمان حسين بالشاعر عوض أحمد خليفه فى أغنية من أروع أغانيه فى ذلك الزمن و هى "عشرة الأيام" غناها عثمان

بمصاحبة كورس من نفس الأوركسترا التي عزفت الأغنية. لا يمكن أن أصور مدى اعجاب الجمهور السوداني بهذه الأغنية الرقيقة عند سماعهم لها لأول مره، ولكن أتذكر أن المذيع على الحسن مالك الذي كان يقدم برنامج الرياضة في الإذاعة السودانية كان أن استضاف مجموعة من لاعبي الفريق الأهلي بعد أن مثلوا السودان في الدورة الأفريقية في غانا وكان السودان قد أحرز المركز الثاني بعد غانا صاحبة الأرض، فكان البرنامج عن انطباعاتهم عن الدورة الرياضية وما أدوه فيها من نصر وطلب منهم ان يتفقوا على أغنية ليقدمها لهم وبالفعل كانت أغنية "عشرة الأيام" ولا ننسى أن هؤلاء اللاعبين كانوا أغلبهم من فريق الهلال والمريخ وكان الصراع بينهم شديداً على بطولةو صدارة دوري كرة القدم ولكنهم أتفقوا في حبهم لهذه الأغنية الرائعة .سمعتها للمرة الأولى وبعد إذاعتها تقريباً باسبوعين في حفل جمعية الهلال الأحمر السوداني في كازينو المقرن وفي نوفمبر 1962م، كان عثمان في قمته من الأناقة وكانت اسرته معه في الحفل في تربيزة قريبة مني، لا أنسى تلك الليلة فهي لا زالت في الذاكرة كأنها امس، وكان جمهور الحفل مميزاً ، من خيرة أبناء المجتمع السوداني حضروا ليقدموا الدعم المادي لتلك الجمعية الخيرية التي أسهمت كثيراً في تضميد الجرح الاجتماعي ، بعدها غنى عثمان لعوض أحمد الخليفة إحدى الخالدات من الأغاني وهي"خاطرك الغالي" وهي لها وقع خاص في نفسي ، قدمها عثمان في عام 1963م، شعراً في القمة ولحناً وأداءاً ايضاً، هذا نصها:

خاطرك الغالي

دائماً أطيب خاطرك الغالي — واسامحك لو نسيت
ودعت من يهواك وقلبه — يقربك مهما نئيت

* * *

كم مرة حاول يفرق بينا — حاسد أو عزول
كم مرة قالو جنيت عليه — بدلت ضو ايامه ليل
لكني يا نور العذارى — انا ما بضيع حب قول
تلقاني دائما في رجاك — وغناي في حبك رسول

* * *

أســـأل عليـــك الليـــل ونجـــــمه وحتـــــى أنوار الصـــباح
وكـــل طـــائر فـــي سمـــــــاه وكـــم في شريعة الحب مباح
اســـأل مـــشاعرك عـــن هوانـــا وحـــنانك لـــــي راح
تلقـــاني فـــي غايـــة الألـــــم آمـــالي تزروهـــا الريـــاح

* * *

حيران أسأل نفسي أيه كان السبب وأصـــــــــل الخـــصام
يمكن أكون في حقك اتلومـــــت فـــــي ســـاعة مـــلام
لكـــن دا ما معـــــقول يكـــون أنا قلبي ليك حفـــظ الغـــرام
تلقانى دائما فـــــى رجـــــاك و امانـــى تزروهـــا الريـــاح
ما أظنه من عـــــرف الهـــوى يعرف عداوة مـــع الـــسلام

اللحن والأداء جيدين، صوت عثمان كان عميقاً يصور كلمات الأغنية بدقة، الأغنية مشحونة بالعواطف الدفينة . بعدها غنى عثمان "الدرب الأخضر" للـــشاعر محمد يوسف موسى و"أمانة" للشاعر علي شبيكة وكانوا من الشعراء المعـــروفين في ذاك الزمن. كل ذلك الزخم من الشعراء كان يتعاون مع عثمان الذي نـــضجت موهبته وأنصقلت ولم يعرف الفشل في مسيرته إنما كلها أغنيات ناجحة.

لم يزل عثمان يحفظ وده القديم مع الشاعر حسين بازرعة والشاعر الـــسر دوليب. فغنى لبازرعة "شجن" في مطلع عام 1964م- كانت ولازالت أغنية مثل الزهور اليانعة وسط الحديقة الغناء وكيف أدى عثمـــان هـــذه الأغنيـــة بالمقدمـــة الموسيقية الساحرة وكيف إنها أعادت البهجة في قلوب عشاق عثمان لرنة الحـــزن التي أعتاد عليها المستمع في أغاني بازرعة، والعشق النبيل والغزل العفيف.

وفي منتصف الستينات تقريباً شُنت حملة صحفية جائرة وانتقاد لاذع علـــى أغنيات عثمان حسين وشعر بازرعة ، وكانت الحملة منطلقة من وحي أن شـــعر بازرعة يدعو إلى الإباحية والتفسخ في أغانى مثـــل"القبلـــة الـــسكري" و"الـــوكر المهجور" والأخريات. وعلى ما اعتقد أن الدواعي كانت شخصية وسببها الحـــسد والغيرة على هذا الغناء الجميل وعثمان حسين الفنان المقتدر الذي أبـــي أن يقبـــل الشعر الردئ. كانت المقالات الصحفية التي استهدفت عثمان وقصائده ليس فيهـــا

أي نوع من المنطقية ولا تمت للفن بصلة، ولكن تصدت الأقلام الأمينة على هـذه الحملة بل واستطاع الشاعر بازرعة أن يرد عليها في مقالات نُشرت في الصحف اليومية فند فيها فريتهم وذكرّهم بأنه لا يدوم إلا العمل الجيد والحكم نهاية للمستمع.

قدم لنا شرق السودان شعراء نوابغ مثل كجراي، اسحق الحلنقي ، أبو آمنة حامد وبازرعة كل هذا الجيد الذي كتبوه كان باللغة العربية التي تعتبر لغة ثانيـة لهم. فقبائل شرق السودان "الهدندوة"و"البني عامر" و"البجة" و"الأمرأر" لها لهجاتها الخاصة التي يصعب تعلمها ولها امتدادات في كل منطقة شـرق أفريقيـا حتـى الصومال ولذا عندما تسمع هذه الأغنيات التي كتبها هؤلاء الشعراء القادمون مـن شرق السودان لايسعنا إلا أن نقف إجلالاً لهم على هذه المقدرة الفائقة وهـذا مـا سبق وأن قلته في الفنان خليل فرح وهو أن اللغة العربية هي لغته الثانية.ولنا أيضاً مطربين غنوا بالعربية ولهجتهم الأولى هي رطانة مثل الفنان محمد وردي وبعض الفنانين من جنوب السودان وشرق السودان لا أتذكر أسمائهم. وهذا الطنبور الذي نستعمله في أغاني شمال السودان يشابه الألات الوتريـة فـي أريتريـا وأثيوبيـا والصومال وهي امتداد طبيعي للأغنية السودانية.

سألت عثمان لماذا لم تستعمل آلة الطمبور في بعض أغانيك وأنت القـادم من الشمال- قال لي لأني هاجرت الى الخرطوم وأنا صغير السن وتفتحت علـى الحياة المدنية وغناء المدينة حيث كانت آلة العود هي التعبير الموسـيقي للفنـان القومي آنذاك، وهذا بالطبع صحيح لأن هؤلاء الرواد كانوا امتداداً لمدرسة خليـل فرح الفنية والتى كانت تنشد الى القومية فى الفن والدعوة الى السودان الموحد كما ذكرت في مطلع الكتاب.

الشاعر إدريس جماع

عثمان حسين (في لحظة تجلى)
كان مفروض أن يغني أول اغنية
لمحمد عوض الكريم القرش

الشاعر محمد عوض الكريم القرش
(مدرسة قائمة بذاتها)

عثمان المطرب الإنسان

يقابلك بترحاب هائل تتجلى فيه كل صفات الشخص السوداني الشهم الكريم المضياف ، ويشعرك بأنك في دارك وأنت المُضيف وهو الضيف. إنسان رقيق حساس ، ينظر بعيداً اثناء الحديث، وهي نظرة ذات معنى، عميقة يسترجع بها كل الذكريات ، فيها الحبيب الى النفس وفيها المر الحزين. حديثه وآرائه تدل على تجربة ناضجة. يتحدث باسهاب عن شخصيات وصداقات أثرت في حياته الفنية. تقرأ بين سطور وجهه تصميم وعزيمة وحزن جميل وفرح هادئ لا يخرج من مجال البسمة الهادئة. تلاحظ في حديثه عن صداقاته حفظه للود ووفائه وتقديره لكل الذين صاحبوه في مشواره في الحياة. تجلت كل هذه الصفات في قيم ومنها الوطنية، فهو إنسان صادق في شعوره نحو وطنه فقد تعامل مع كل الناس على اختلاف خلفياتهم بواقع اساسه الحب للوطن.

وكانت في كلمات صادقة من حسين بازرعة في أغنية "الأرض الطيبة" فهي صادفت حس رقيق في عثمان وقدمها عثمان في الاحتفال باستقلال السودان تقول:

بلادي أنا

أفديك بالروح يا موطنى فأنت دمى و كل ما أقتنى
بلادى أنا

****

تراث الكرام ومجد العرب وسفر كفاحٍ روته الحقب
نسمت شذاها وطيب ثراها وذوب هواها جرى في دمي
يعزز في السير من مقدمي، وأرضي هنا بناء جدودي ومأوى أبي

****

وتاريخ شعبٍ كريمٍ أبي فيا أختوتي
لنمشي إلى النور في ثورة نحطم قيد ليالي العتي
ونحن الفدا جنود الردا نعيش عليها ونحيى لها

ونحمي دماها من العدي

وثانية الأغاني الوطنية، حبٌ لهذا النيل العظيم الذي يشق صدر الوطن ويرويه ويبعث فيه الحياة ويروي تاريخ أمة عبر السنين عاشت على عطائه، ويجسد هذا الحب للنيل العظيم الشاعر العظيم التجاني يوسف بشير في قصيدة النيل التي صاغها عثمان حسين كأحاسيس ومشاعر دافقة تلامس شغاف القلب في أعماق الوجدان صداها نهر دافق من الوطنية وحب الوطن وأغلى المشاعر الإنسانية. تعد الأغنية من أجمل الألحان والأداء الأوركسترالى المتكامل ونص الأغنية:

في محراب النيل

أنت يا نيل يا سليل الفراديس — نبيل موفق في مسابك
حضنتك الافلاك فى جنة الخ — لد ورقت على وضىء عبابك
وأمدت عليك اجنحة خضراً — وأضفت ثيابها فى رحابك
فتحدرت فى الزمان و أفرغت عجب — على الشرق جنة من رضابك
أنت صاعداً فى مراقيك — لعمرى او هابطاً فى انصبابك
كم نبيل بمجد ماضيك مأخوذ عفروا — وكم ساجد على اعتابك
نضرة الجباه بيراق — سنى من لؤلؤى ترابك
واستفاقوا ياتيل منك لنغم — شجى من آلهى ربابك
وحروف ريانة فى اسمك النيل — ونعمى موفورة فى جنابك
فكأن القلوب مما استمدت — منك سكرى مسحورة من شرابك

* * *

أيها النيل فى القلوب سلام الخلد — وقف على نضير شبابك
انت فى مسلك الدماء و فى الانفاس — تجرى مدوياً فى انسيابك

هذه هى الابيات التى اختارها عثمان حسين من النص الكامل للقصيده وهى موجوده فى ديوان الشاعر التيجانى يوسف بشير.فالشاعر التيجانى يوسف بشير غنى عن التعريف فهو أول شاعر سودانى نشرت قصائده فى الوطن العربى.ولد الشاعر التيجانى فى أمدرمان عام 1908ودرس فى خلوة الكتيابى المشهورة آنذاك فى أمدرمان وهو ينتمى لنفس الاسرة (أسرة الكتياب) و بعدها واصل دراسته فى

الشاعر حميده أبو عشر

الشاعر التيجاني يوسف بشير

المعهد العلمي الشهير بامدرمان الى أن ترك الدراسة به لاختلافه مع العلماء في بعض المسائل الفلسفيه.فقد كان التيجانى متقدماً في كثيرٍ من افكاره الشيء الذى أدى الى تركه المعهد حيث الافكار المتزمته التى عاقت مسيرته الأدبيه.توفى بامدرمان فى عام 1938رحمه الله فقد كان عبقرى زمانه.و ما هذه القصيدة الا جزء من تأملاته وتفكره فى الطبيعة و عظمة هبة الخالق فى هذا النيل العظيم الذى حبا به هذا الوادى.

وهذه الأغاني الوطنية التي غناها عثمان ومثلها في السينما ما هي إلا مشاركة لجمهور الشعب السوداني في عواطفه بنيل الإستقلال وبتمجيد أهم المعطيات الألهية وهي النيل الذي يجري يهب الحياة لشعب يعيش على الزرع والضرع.

إنسانية عثمان تجاوبت مع شاعره وصديقه حسين بازرعة عاش المأساة وغنى بنفس النغم الحزين تمثيلاً وتجسيداً ليعطينا اللوحة الموسيقية الساحرة في إبداع عاش معنا الى الآن متجدداً كل يوم في قلوبنا يذكرنا بكل ذاك الحزن النبيل والفرح الأليم. توج هذا اللقاء المؤثر بين عثمان وبازرعة في أروع ملحمة غنائية سمعتها الجماهير وأغنية "قصتنا" التي جاءت هادرة كشلال يحمل في طياته أسمى المعاني الإنسانية والعزاء للذين لم تسعدهم الدنيا في أن ينالوا ما يتمنوا. ولدت الأغنية في زمن فقدت المشاعر الإنسانية مقوماتها الأساسية واضطربت الحياة بالماديات الزائلة ليبقى الحب وجملاً حائرة في بحر لا تجد مرفأ لها وتزيدنا الأيام تمعناً في قول شاعرنا حسين بارزعة وهو يقول:

قصتنـــا

بالمعـــزة ... بالمـــودة بينـا ... بـــي أغلـى الـصلات
بالهـــوى العـشناه بـي أعـصابنا ... خمـــس سـنين ومـات
بالعـــذاب الـشفته والـسر الكتمتـه ... معـاك وباقـــي الطيبـات
اسـتحلفك أتـرك سـبيلي وسـيبني ... وحدي أقاسـي مـر الـذكريات

* * *

أنا بحنـاني الغـالي خبيتـك وحبيتـك ... بكل جوارحي وعـواطفي العميقـة
وأنا شلت مـن أجلـك همـوم الـدنيا ... قاسيت مـن جراحها وكل ضـيقة

ولـــي ســـعادتك أنـــت كـــم ضحـــيت وإتغـــــربت ما خليـــت طريقـــة
وفـــــي مـــسيري المـــضنـــــي مـــــــن أجـــــل الحـــقيقة

* * *

كل طائر مرتحل عبـــر البحـــر قاصـــد الأهـــل حملتـــه أشـــواقي الدفيقـــة
ليك يا حبيب للوطن لـــــــي ترابـــه لـــشطـــأنه وللـــدار الوريفـــة
لكن حنانك لي أو حتـــــى مـــشاعرك نحـــــوي مـــا كانـــت حقيقـــة
كانت وهـــــم وكانـــت دمـــــوع مـــسفـــوحة بـــأحرف أنيقـــة

* * *

وما بإيدي لو ضباب الغيـــرة أعمـــاني وزيـــــف لـــــي الحقيقـــــة
أنت نبع حنانـــــــي وأنـــت كيـــاني وأنـــــــت الـــــــــدنيا
أنـــت الـــدنيا بهجتهـــا وشـــــروقها لو حصلت ضـــلت خطـــاي معـــاك
أو ضـــــــــلت طريقهـــــــــا هـــل تـــصدق تنهـــي قـــصتنا

يا أجمـــــل حقيقـــــة

نحـــن عـــشنا بـــدموعنا وبالـــشقى بالـــضنى فـــي كـــل دقيقـــة
ولـــم تـــزل قـــصتنا وقـــصة حبـــي أقـــــوى مـــــن الحقيقـــــة

هى أخر قصيده غناها عثمان حسين لبازرعه و لكـــن لبازرعـــه بعـــض القصائد التى لم تلحن بعد مثل "لاتقلها" و"عرس الدم" التى كانت قد كتبت فى أثناء ثورة اكتوبر.

من ناحية النظم كقصيدة تعتبر من أروع القصائد موضوعاً ونظماً ومعاني سامية رقيقة وتجسيداً للأحاسيس الدفيئة للشاعر ومن حب ووطنية صبغة ببلاغـــة شعرية في منتهى الجودة والكلمات والمعاني الرقيقة وهو يقول في بلاغة متناهيـــة في الرقة:

بالعـــذاب الـــشفته والـــسر الكتمتـــه معـــــاك وبـــــاقي الطيبـــــات

أنظر لهذه البلاغة في "باقي الطيبات" معنى جميل غير محدود فـــي الرقـــة والعطف الى أن يضيف لها معنى أجمل:

أنا بحناني الغـــالي خبيتـــك وحبيتـــك بكل جوارحي وعواطفي العميقة

لم يبخل بشي لمحبوبته ، الحنان الغالي والخصوصية (خبيتك) في الحب من جوارحه وعواطفه العميقة وهو عطاء إنساني رفيع وبلا حدود يؤكد قيم الوفاء والصدق. ويذهب بنا بازرعة الى تطابق حبه الملهم بحب الوطن وترابه وشطآنه والدار الوريفة وهذا منتهى الاعزاز لبلده ولمحبوبته هذا نمط عربي أصيل مثل الوقوف على الأطلال في الشعر العربي الجاهلي في ربط المحبوبة بالأثار. وينتهي بازرعة بالقصيدة الى الإلتزام الجاد والإستمرارية في عهد وحزم كما في قوله:

لم تنزل قصتنا قصة حب أقوى من الحقيقة

وماذا بعد لم يترك لنا بازرعة أي قول غير أن نمجد هذا الأبداع الشعرى وهذا الشعر الرقيق من شاعر فُطر على الكلمة الرقيقة والإلتزام،و الإلتزام قيمة شعرية مميزة لكل الشعراء المحدثين وعلى سبيل المثال الشاعر العراقي بدر شاكر السياب الذى ألتزم لمدرسة صارت نمطاً خاصاً به و هذه الخاصية نجدها أيضاً في أغنية أنت لي التي غناها عثمان حسين، وفيها نجد معنى الإلتزام ، عندما يقول:

أصله الهوى دائي ودنياي وديني

وتتجلى القوة في إستعمال الكلمات في بلاغة متناهية في إستعمال حرف"الدال" في دائي ودنياي وديني. وأيضاً أكد هذا الإلتزام سابقاً في أغنية "ناداني غرامي" وهي من غناء عثمان ويقول هنا:

مأساتي في دنياى هواي
وهواي فى دنياك شظايا
ودعت ليالي وأمسي
وطفأت أماني وشمسي
وبقيت في أيامي رواية

كل هذا الإلتزام كان صفة في معظم قصائد بازرعة وهو يؤكد موضوع قصيدته ويقول في قصيدة "لا وحبك" مؤكداً إلتزامه بحبه الخاص وللوطن:

حبنا أكبر من الدنيا وأطول من سنينها
فيه من وطن المسالم أحلي طيبه وأغلى زينة

وفـــيه مـــن حريتـــي معنـــى وغنوة من روحـك حـــزينة
يـــسعـد العـــشاق صـــداها وتفـــرح الـدنيا الحـــزينة
وبرضـــو يحـــصل تنـــسى حبـــي فـــي النهايـــة

لا وحبـك ولن تكـن أبـداً نهايـــة

ويختم قصائده دائماً بالتشاؤم ومثل الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي وهم الإثنين من مدرسة واحدة"الرومانسية المحدثة" في تطوير وتوسع الأخيلة المستقاة من الطبيعة. ولكن نرى تطابقاً في التفاؤل في شعرهم حينما يقول بازرعة في "ذكرتني":

بـــالله يـــا ريـــح الـــصبا بلغهـــا أشـــواق الحبيـــب
ذكرهـــا بعهـــد الـــصبا وعهـد الوفـا وأطفـى اللهيـب

ويقول الشابي:

أسكني يا جراح وأسكتي يا شـجون مـــات عهد النواح وزمان الجنون
وأطـل الصباح مـن وراء القـرون وأسكني يا جراح وأسكني يا شجون
فـي فجاج الردى قد دفنـت الألـم وإتخـــذت الحياة معزفاً للـنغم

والآن نعود الى رائعة بازرعة وعثمان حسين أغنية "قصتنا" كان الأداء قمة تجلى فيها عثمان بمقدرته المعروفة في عمل المقدمات الموسيقية لأغنيـة وهـي تشابه مقدمة أغنية "من أجل حبي" عندما يقدم مطلعها:

جاي تترجانـــي أغفر ليك ذنبك مـــا كفاية الشفته من نارك وحبـك
إنت فاكر تاني أرجعلك وأحاسبك لا ياناكر دربي اصبحى ما هو دربك

ويقول الأستاذ الفاتح الطاهر في كتابه عن عثمان حسين "فنه وحياتـه" إن مقدمة الأغنية هي وسام على صدر الفرقة الموسيقية لإنضباط الأداء والتناسق بين الآلات ودقة التكوين وبراعة العزف من عبد الله حامد العربي على الكمـان.. وإذا توقفنا أمام المقدمة الموسيقية فإننا نجد فيها براعة عثمان في الإنتقال بين أشـكال الإيقاعات المختلفة التي تستقطب إهتمام المستمع دائماً. ثم ينطلق صـوت عثمـان الشجى المعبر حر من الأيقاع "بالمعزه ..بالموده ألبينا بى أغلى الـصلات.."لـم

يبخل عثمان حسين فى ان يستخدم كل ملكاته الصوتيه و الفنيه فى إخـــراج هـــذه اللوحه الغنائيه التى حفلت بتكامل اللحن والأداء مع الكلمات . وكان فى الأمكـــان أغنيه مشابهة و هى قصيدة "لاتقلها" لأن كلماتها لاتقل من مستوى قصيدة "قصتنا":

هذه القصيدة لم تلحن بعد ولكني سمعتها كشعر على لسان عثمان حـــسين. وهي زاخرة بالمعاني الرقيقة والنظم الجيد كما نرى ويأليت يقدمها لنا عثمان فـــي أي لحظة حتى نسعد ونضمها الى صدورنا كما فعلنا بدرره النفيسه.

هذه إنسانية عثمان في فنه وحبه وتقديره للمشاعر الـــسامية مواســـاته لألام الناس وإسعادهم وهي من القيم الإنسانية النبيلة التي تضع الإنـــسان فـــي مرتبـــة الإحترام القومي وكلما يخطي إنسان في هذه الدنيا بهذه المرتبة الرفيعة والتقـــدير الجماعي الذي اتاح لبعض هذه الشخصيات أن تنتقل من عالم الفـــن إلـــى عـــالم السياسة مستغلة هذه الميزة النادرة كما فعل الممثل الأمريكي والـــرئيس الـــسابق للولايات المتحدة الأمريكي ،رونالد ريجان.

والآن نتطرق الى الجانب الإنساني المادي ، وهي المشاركات التي ســـاهم فيها عثمان حسين في الأعمال الخيرية. فقد غنى عثمان حسين كثيراً في مناسبات إجتماعية خيرية لصالح الذين في حاجة الى مساعدة وإغاثه مثل جمعيـــة الهـــلال الأحمر السوداني ، التي كان من كبار المساهمين والمتبرعين في حفلاتها لجمـــع الدعم المادي لأعمالها ، هو عثمان صاحب القلب الكبير والإحـــساس المرهـــف ، فقدم ما قدم ليسعد من هم في حاجة ليده.

وغنى أيضاً في جامعة الخرطوم كثيراً ولصالح الطلبة ومستقبل الأمـــة ولا يزال ذلك الجيل الذي تخرج في الخمسينات والستينات والسبعينات يتـــذكره جيـــداً ويتذكر تلك الوقفه في مسرح إتحاد طلاب جامعة الخرطوم وإسهامه لتلـــك الـــدار وبلا مقابل بل فقط من أجل الناس ولا يدوم إلا الوفاء والعرفان كذكرى طيبة خالده في قلوب الناس.

كانت الجمعية الطبية تقيم حفلات سنوية في دار الأطباء وكـــان الحـــضور المتواصل لهذه الحفلات من عثمان شيئاً يبطل له كل الإرتباطات في سبيل تحمـــل واجبه الوطني والإجتماعي ، وقد تم تكريمه على ذلك بواسطة نقابة الأطباء فـــي

عام 1979م. وكثيراً من الهيئات والنقابات تُكن له الود فهو من أول الملبين لندائها، حيث سافر في رحلات كثيرة في داخل وخارج السودان لإبراز هذه المعاني الطيبة ، فقد سافر الى مصر وأثيوبيا وعدة أقطار في بعثات فنية. كانت أول هذه الرحلات الى مصر الشقيقة في عام 1951م تلبية لدعوة قدمت له بواسطة جريدة "الرأي العام" التي كان عضواً في ندوتها الخاصة ومنتداها الثقافي ، حيث كان يجتمع نخبة من المثقفين والصحفيين الذين كانوا يسهموا في تحرير الجريدة وعلى رأس هؤلاء الصحفيين إسماعيل العتباني وحسن نجيلة ورحمي سليمان ومعهم د.محمد عبد الحليم الطبيب المعروف ود. أنيس ومجموعة منها الوالد اللواء أحمد الشريف الحبيب وعبد الوهاب أحمد حسن وعابدين محجوب لقمان والأستاذ محجوب على وسعد الشيخ وكوركين وسورين أسكندريان" الرياضين المعروفين ". حققت الرحلة نجاحاً باهراًخاصة كان الجانب المصري معظمه من السودانيين القاطنين في مصر وعلى رأسهم النجومي باشا ياور الملك فاروق والعقيد الشاعر عبد المنعم عبد الحي وتوفيق أحمد البكري ومنصور أحمد الشيخ مدير إذاعة ركن السودان بالاذاعة المصرية وكثيرون ممن كان لهم الفضل في إنجاح تلك الزيارة.

عاد عثمان الى القاهرة ثانياً بدعوة من مجلس قيادة الثورة المصرية آنذاك وكان ذلك في عام 1953م حيث غنى احتفالاً بثورة يوليو في عيدها الأول حيث التقى بالرئيس اللواء محمد نجيب الذي قدم شكره وتحياته إليهم بمساهمتهم في تلك الاحتفالات كمشاركة بإسم الشعب السوداني.

هذه هي المعالم الإنسانية في شخصية عثمان، تواصل فنى وشخصي مع الأشقاء. رحلة أثيوبيا لا تقل عن سابقتيها فالسودان له وشائج وأربطة متينة وقوية مع الشعب الأثيوبي الذي يحب السودان والسودانيين ولم أجد في حياتي حباً للشعب السوداني مثل الذي وجدته في أثيوبيا ، البلد العريق والشعب المتحضر. سحناتهم مثل السودانيين أدبهم ورقتهم مضرب المثل، طبيعة بلادهم خلابة موسيقاهم الوترية تغوص وتذوَّب الوجدان رقة ونعومة ، تلك هي أثيوبيا التي سافر إليها عثمان حسين.

التفاؤل والصبر

ولم تزل المعاني الدافقة شعراً تهز كيان عثمان في شعر بازرعة وليعيش القصة بكل وجدانه ، وعنصر التفاؤل قليل في شعر بازرعة، عبر عنه في أغنيتين فقط "أجمل أيامي" و"بعد الصبر". كانت أغنية "أجمل أيامي" سرد ماضي جميل فيه التفاني والتضحية وُفق فيها بازرعة نصاً وموضوعاً ، وتقول كلماتها:

أجمل أيامي

حاولت أديك من روحـــــــــــي شـــوية
مـــــن أدبي وفنـــــــــــي ونهار عينـــي
حاولت كثير ما لقيت من حبك غير ظلم وأسيه

* * *

خليـــت الـــــــدنيا لرضـــاك ورميتهـــا
والكلمـــة النـــادرة فـــي هـــواك غنيتهـــا
وشمـــــــوع أيامـــك بـــدماي ضـــويتها
شـــفتك متهنـــي ومـــا ســـائل عنـــي

* * *

كـــان عـــشك قلبـــي وكـــان قلبـــي حبيبهـــا
فـــي ســـوق عـــشاقك أصـــبحت نـــصيبك
أنـــا خـــائف أنـــساك والـــدنيا تـــصيبك
ترجـــع تتنـــدم مـــا تلقـــى حبيبـــك

* * *

لـــو تـــذكر مـــرة إنـــك حبيتنـــي
مـــن قبـــل ســـنين وهـــواك أهـــديتني
بعطـــــــف وحنيـــه و مـــوده حبيبتـــي
مـــا كـــان يـــا غرامـــي وحـــصل وســـليتني

* * *

لكنـــى أقـــول عـــســـــــــى قلبـــك
لو نـــسى أيـــامي ، مـــا ينـــســـي هيـــامي
ســـأظل أحبـــك وأعـــيش علـــــى حبـــك
وأديـــك مـــن عمـــري أجمـــل أيامـــــي

الرجاء والتفاؤل وبلاغة الكلمة، التفاني والاخلاص في كلمات عاشق أمين ، إتصفت الأغنية بعمق الصوت ودفئه ، أداء هادئ مركز يطابق الموضوع. قال عثمان : كنت أسافر دائماً الى خارج السودان بغرض الإستجمام والراحة وكان حسين بازرعة قد أرسل لي نص الأغنية من قبل فلحنت جزء منها في الخرطوم وكان أن قررت السفر الى القاهرة عن طريق بورتسودان وكان معي صديقي جاد الله جبارة وإتصلت بحسين بازرعة الذي إستضافنا لمدة أسبوعين في بورتسودان حيث أكملت اللحن ومنها سافرنا الى القاهرة حيث قضينا أجازتنا ومن ثَّم عدت الى الخرطوم وقدمت الأغنية كاملة اللحن الى الجمهور من خلال الإذاعة. عثمان حسين معجب بهذه الأغنية ويظهر ذلك من أدائه لها. بازرعة استعمل اجزل وأجمل الألفاظ ، خلط بين اللغة العامية واللغة العربية الفصحى وخيالات واسعة وبلاغة متناهية في الجمال – حين يقول:

خليت الدنيا لرضاك ورميتها والكلمة النادرة في هواك غنيتها

منتهى الجمال والخيال أن يضئ شموع أيام المحبوبة بدمائه.

ويذهب ويقول مختتماً القصيدة وهو يحمل صدقه معه:

سأظل أحبك وأعيش على حبك وأديك من عمري أجمل أيامي

وصيفة التفاؤل والصبر نص يقبل عليه كثير من شعراء الأغنية السودانية لما فيه من رجاء وعتاب ونظرة وفاء وألتزام وذكريات مضت. عثمان حسين يختار كثير من هذه النصوص لشعراء مختلفين. وهذه النصوص تخاطب وجدان المستمع السوداني الذي وصفه أحد النقاد بأنه رومانسي ، يحب المستمع السوداني أن يسمع الأغاني الرومانسية التي تبين إلتزام وصدق في الموضوع ووصفاً لمواقف عاطفيه ولقاءات وأشجان وهوى فالمجتمع السوداني فيه الكبت والمعاناه والحياء وعدم التصريح بمكنون النفس ولا متنفس إلا ما يكتب الشعراء ويتغنى به المغنيين فى مواضيع تحمل ذكريات أليمة وحبيبة الى النفس. لفت مثل هذا الغناء عثمان حسين وأدرك بقريحته ان يتجاوب مع المستمع على هذه النبرة ومن بداياته وهو يختار تلك النصوص ، ومن أجمل نصوص أغاني الذكريات كانت رائعة

الفنان عثمان الشفيع "الذكريات" كلمات محمد عوض الكريم القرشي فقد كانت الأغنية التي نقلت عثمان الشفيع الى مرتبة عالية في مصاف الفنانين الرواد بتجاوبها مع شعور المجتمع. وفي نفس الفترة غنى عثمان حسين رائعته "ذكرى"من كلمات الشاعر محمد البشير عتيق. عتيق شاعر متمكن وله خبره طويلة مع أذن المستمع السوداني ولذا كانت القصيدة جميلة ومتجاوبة مع شعور الجمهور ولكن اضفى عليها اللحن والاداء جمالاً وحواراً وجدانياً رائعاً، والقصيدة نصها يقول:

ذكـــرى

أتـــذكري يـــوم كنـــا مجتمعـــين ســـــــــوى
فـــي خـــصيب مرتعنـــا وأتمتعنـــا بـــي طهـــر الهـــوى
أتـــذكري بـــين أفـــاويق الـــــــــزهور
أتـــذكري بـــين أغـــــــاريد الطيـــور
نحـــن اتعادلنـــا واتبادلنـــا أقـــداح الـــســـرور
فـــي صـــفا الأنـــس والحبـــور بينـــا كـــم أحتفـــت بـــدور
وكـــــــوكب الـــــــسعد راح يـــــــدور
لي حديثنا النسيم روى في الهوى حبنا أستوى أرقى مستوى

* * *

غير شـــك أنـــت زهرتـــي فـــي هـــواك ســـامية فكرتـــي
ليـــك غرامـــي ونظرتـــي إبتـــسامي وعبرتـــي

* * *

اهتمامـــــــــــــي وخبرتـــــــــــــي
انـــــت شـــــــدوي ونبرتـــــــي
انـــت حـــسنائي والتـــي بيـــك نبـــوغي وشـــهرتي
لـــــو نجـــــم حظـــــنا انـــــزوي
وفـــــــرقتنا يـــــــد النـــــــوى
رغـــم ألامنـــا والبعـــاد لينـــا لا بـــد مـــن ميعـــاد
فـــــــي ظـــــــلال الهـــــــوى
نلتقـــــــى ونجتمـــــــع ســـــــوى

لا شك انها رائعة في النص والموسيقى والاداء وسجلها عثمان حسين اخيراً في برنامج تلفزيونى وباوركسترا كاملة وتوزيع جميل وحديث وأعادت للمستمع القديم ذكريات حلوة وحبيبه الى النفس وأعجبت الجيل الحديث بما قدمه عثمان حسين في الماضي وفي بدايته الاولى أعجبت انا شخصياً برجوع عثمان حسين للاداء الأول وبدون تغيير مما أكسب الأغنية كلاسيكية ممتعة مذكراً الجمهور الكريم بما قدمه في أحلى أيام العمر . الأغنية فيها كل صفات التفاؤل والمعاني السامية.وفي حديث سابق لعثمان حسين في الإذاعة السودانية ذكر بأنه بالرغم من القصائد الجميلة أن غناها للشاعر عتيق إلا أنه كان يبحث عن شئ مفقود ويتطلع إلى نصوص أكثر معنى ورومانسية ولعل عثمان كل ينظر الى ماضي عتيق في أغنية الحقيبة التي كانت تحتم للوصف الحسى بذكر مفاتن المحبوبة ولا ينظر للتغيير الذي حدث في شعر عتيق الذي كان قد فارق النص القديم إلا أنه إحتفظ بوصف الطبيعة كصفة تقليديه كما نرى في نص الأغنية:

أتذكري بين أفاويق الزهور
أتذكري بين أغاريد الطيور

أو لعل أغنية حارم وصل مالك" التي كتبها عتيق وغناها عثمان كانت تعني أكثر بمناجاة المحبوبة لم تدخل معاني جمال الطبيعة وأختلفت نصاً عن أغنية ذكرى:

على الأحري يمكن أن نقول أن لقاء عثمان حسين ببازرعة قد أدخل تغييراً كبيراً في المعاني والوصف ووجد عثمان في بازرعة نصاً كان يفتقده ونمطاً جديداً في نصر الأغنية السودانية ولكن هذا لم يمنع عثمان أن يبحث عن نصوص أخرى يجد فيها ما يصبوا إليه. فمن الأغاني التي دخلت بنمط جديد على أغنية عثمان المعهوده ، أغنية " أحبك" للشاعر محجوب سراج . ذلك الشاب الأمدرماني صديق الفن والفنانين المرهف الحزين. كان يعمل بالإدارة المركزية للكهرباء بأم درمان وهو من مواليد حي العرب المشهور وتربى في بيئة فنية معروفه فذلك الحي كما ذكرت كان حي المبدعين في مجال الأغنية السودانية ، من شعراء وملحنين

ومغنيين وأيضاً هو يأتي من أسرة فيها الموهبة فشقيقه الأكبر محمود سراج (أبو قبوره) من المسرحيين المشهورين وخاصة في عالم الفكاهة . كان الشاعر محجوب سراج ملتزماً نحو الفنان صلاح مصطفى منحه كثيراً من قصائده التي أعجبت الجمهور ، فهو بلا شك شاعر مقتدر. وفي حديثي معه في حي العرب ذكر لي بأنه كان يتردد على الأذاعة يومياً ويساعد كثيراً في تشطير بعض الأغاني وأختيار النصوص للفنانين دون ذكر ذلك لأحترامه لزملائه في دائرة الفن وقال أنه كان معجباً بعثمان حسين كفنان يتطلع معظم شعراء الأغنية أن يغني لهم. لذا عرض نص أغنية "أحبك" الى عثمان حسين الذي أعجب بها وقدمها بنمط هادئ خالي من الإثاره بل فيه عناية تامة بالكلمات والحنية التي جسدت معاني الكلمات وأعطتها بعداً رومانسي عميق ، ويمكننا أن نورد النص لنتمعن في الكلمات:

أحبـــك

أحبك أحبك لما لا نهاية
وأغنيك حنيني وشوقي وهواي
لأنك حبيبي وغاية رجاي

* * *

كثير في بعادك وحشتني الليالي
أغالب دموعي وأكابد ملالي
طريقي المنور خلاص أضحى خالي
تعال يا حبيبي صدودك كفاية

* * *

زرعنا المحنة رويناها شوقاً
وعايشين نأمل تقوم ترم فوقنا
نسير في ضراها نسير لي شروقنا
نتوج حياتنا بأسعد نهاية

* * *

منامي المسهد يحن لعيونك
وشوقي المعذب يناشد حنينك
تحكم شعورك وترحم سجينك

كلمات بسيطة جزعة وسهلة ومعاني عميقه صادره مـن إنـسان مرهـف الحس . أتمنى لمحجوب سراج الشفاء والخروج من محنته التي هو فيها ولا شـك أن سببها الحساسيه المفرطه وكثيراً من مبدعينا كانوا ضحيه لأمراض سببها مثـل هذه الحساسية.

عثمان حسين كان من أروع ما يكون وقوفاً خلف المايكرفون وهو يـؤدي هذه الأغنية و يمكنك أن تقرأ بسرعة التعابير في وجهه والتأثر الظاهر بالكلمـات وأداءه الهادئ.

وفي باب التفاؤل الصبر يطل علينا عثمان حسين برائعـة بازرعـة "بعـد الصبر " التي كانت متميزة بأداء رائع فيه رنة الحزن الدفين وفيها حوار جيـاش بالعواطف والعتاب ولعل السر يعرفه عثمان وحده وشاعرها "حـسين بازرعـة" وفيما يلي نورد النص:

بعـد الصبـر

ليـــــه تقـــــول أيامـــــنا راحـــــت وأنتهينـــــا
يا حبيبي والله كانت ديك سحابه لو حـصل فـي العمـــر مـره
وافترقنا هـــي غلطـــه ونحـــن نتحمـــل عـــذابها ... يـــا حبيبـــي

* * *

كنـــــت عـــــايش كـــــل أيامـــــك محـــــنه
وانـــا بحـــرق كـــل عمـــري فـــي الـــصبابه
يـــا حبيبـــي ليـــه مـــا تبقـــى حياتنـــا جنـــه
تنـــسى ظلـــم الـــدنيا نأخـــذ مـــن شـــبابها
ونبعـــد الـــشك مـــن قـــلوبنا والمظنـــة
ونمـــشي فـــي دنيـــا الأمـــاني ... الأمـــاني المـــستطابه

* * *

لست ادري هل عذابي أم عذابك كـان أكبـر لـسـت أدري
حين شق الدهر بينا والفـراق المـر أكبـر لـسـت أدري
فلمـاذا كنت تخشي كـل ما ضيك المـسير يـا حبيـبـي

ولم تستجيب الليالي القادرة لرغبة المحب بل تملكته اللوعة والأسى ، سكب الشاعر أماله وأحلامه في قالب بديع في أبيات جلست على نار اللوعة والحرمان وكان لا يدري ما يخبأه القدر . بازرعة مرهف وحساس وأمتثل شوقه ولوعته وعذابه في هذه القصيدة وأستعمل البلاغة المهجرية مترسماً خطى الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي باحثاً عن حل لمعضلته النفسيه حين نفد الصبر وجلس محتاراً يناجي الحروف لتخرج رائعة محتشمه معرية كوامنه وأشجانه وأشواقه . أنصبت القصيدة موضوعاً ومعنى في قالب عثمان حسين الأبداعي ليأتي اللحن متكاملاً يبرز هذه المعاني الدفينة . مقدمة تدعوا للحوار بموسيقى هادئة رزينة ولحن قادر على التعبير واداء واصفاً للخلجات والآهات .لم تكن الكلمات وحدها لتعبر لولا اللحن الجميل والأداء المتميز . وهذا حال عثمان يتعامل مع الأغنية بتأثير الكلمات عليه. أذيعت في عام 1961م وفي زمن كانت تسيطر على الساحة مجموعة من أغاني المطربين الأخرين وكانت كلها أغنيات في مستوى رائع وعلى ما أذكر كانت أغنية "عزيز دنياي" للفنان إبراهيم عوض وكلمات الشاعر المرهف الطاهر ابراهيم ، رائده في ذلك الزمن وكان النشاط الغنائي المسرحي في قمته بعد إفتتاح المسرح القومي في أم درمان عام 1960م. وعندما أذيعت أغنية "بعد الصبر" وجدت مكانها سريعاً بين الأغاني الرائده وكان المقياس في ذلك الزمن برنامج ما يطلبه المستمعون في الإذاعة السودانية . وكان هذا البرنامج يقدم كل يوم جمعه الساعة الرابعة مساءً و في ميعاد عطلة والناس كلها تنسط الى الأغاني المطلوبة بلهفٍ ظاهر حيث أن الإذاعة كانت الوسيلة الوحيدة للأعلام المسموع في ذلك الزمان.

ونعود الى حديث الذكريات وصدى الذكريات الحبيبه الى النفس وعظمتها عند المستمع السوداني ، ولعل الشاعر حسين بازرعة تفاعل مع نبض جمهور المستمعين وأخرج لهم قصيدة "ذكرتني " وهي من أجمل أغنيات عثمان حسين الخالدة ، نصاً وتلحيناً وأداءاً وخاصة إذا شاهدنها في التلفزيون السوداني مع أوركسترا متكاملة فيها عبد الله عربي ومحمدية على الكمان . وقمة في الأداء.

الأغنية جميلة اللحن والأداء وكلماتها معبرة ، أختار لها بازرعة نظماً بسيطاً ذو معاني عميقه ، يقول فيها:

ذكرتني

ذكرتني عهد الغرام وأعدت لي ماضي الهوى
يا ليتني ألقى المرام ونعيش سوى بعد النوى

* * *

بالله يا ريح الصبا بلغها أشواق الحبيب
ذكراها بعهد الصبا وعهد الوفا وأطفى اللهيب

* * *

سميرى يا خير الأنام حيرت فيك ريل السلام
هيجت فى قلبى الغرام وهجرتنى بعد الوصال

* * *

ذكرها ليلات السمر ونعود للعهد الجميل
نصغى لأنغام الوتر تحت القمر بين الخميل

فيها تطريب عالي وفيها فرح وأيضاً حزن وفيها موسيقى صاخبة وموسيقى هادئه وفيها كل الأنفعالات والخلجات والتأثيرات الأنسانية. الأغنية يظهر فيها الأنسجام الكامل بين الكلمات واللحن والأداء وعثمان يؤديها بكل السهولة وبتعبير للسامع والنداء الواصل. وكما تعودنا من الثنائي الرائع عملاً يسمو على الأعمال الأخرى ويقفز بعثمان الى مراتب عليا. الأغنية فيها نداء الى كل من يعشق قلبه وكل من عاش فترة النضاره والشباب والنفس تسمو الى القيم الرقيقه والغزل الرفيع، لم أسمع رأي النقاد الا بالأطراء والثناء على هذا العمل.

لكل مطرب لابد من أغنية يجمع المستمعون و النقاد على جودتها وجمالها .فالمسح الذى قمت به أثبت أن أغنية "شجن" كلمات الشاعر حسين بازرعه هى قمة ماقدم عثمان حسين.قُدمت للمستمع فى عام 1964 .والعنوان يدل على أشياء

الفنان عثمان حسين

الشاعر محمد يوسف موسى

(تمثل أغنية " الدرب الأخضر "

محطة مهمة لعثمان حسين)

بلاغيه كثيره، فالشجن هو قيمة وجدانية فريده تجمع بين الحزن و الذكرى الجميله و المناجاة لخواطر النفس وكم من عاشق يعيش مع أشجانه.فهى كلمات تخاطب الوجدان وهذا هو سر اللقاء بين عثمان حسين و المستمع السودانى فى هذه الاغنيه.ألأغنيه فيها حوار رائع يخاطب وجدان المرهفين حساً و يوصف الحال فى مثل هذه الأحداث.فبقرأة النص يمكن للقارىء أن يعرف أن للكلمة الساحرة فعلها وتاثيرها القوى وأكتملت سحراً بالتلحين والأداء الرائع الذى قدمه عثمان لها . فنصاً هى:

شجن

لمتين يلازمك فى ... هواه مر الشجن
ويطول بايامك سهر ... ويطول .. عذاب

* * *

ياقلبى لو كانت ... محبته ... بالثمن
يكفيك هدرت عمر ... حرقت عليه شباب
لكن هواه أكبر ... وماكان ليه ثمن
والحسره مابتنفع ... ومابجدى العتاب
أحسن تخليه ... لى اليالى والزمن
يمكن يحس ضميره ... ويهديه لى الصواب

* * *

لكنى أخشى عليه ... من غدر الليالى
وأخشى الأمانى تشيب ... وعشنا يبقى خالى
وهو لسع فى نضارة ... حسنه فى عمر الدوالى
ماحصل فارق عيونى ... لحظه او بارح خيالى
أغفر له ياحنين ... وجاوز لو ظلم
ما أصلها الايام مظالم ... والعمر غمضة ثوانى
وأصبر على جرحك ... وإن طال الألم

* * *

بى جراحنا باشواقنا ... بنضوى الزمان
أنا عارفه بكره بيعود ... فى رعشة ندم
ننسى الحصل بيناتنا ... والسهر اللى كان
تصبح حياتنا نغم ... وعشنا يبتسم
وتعود مراكب ريدنا ... لى بر الأمان

هى نظم بالدارجى البسيط و لكنها مليئة بالاخيلة و البلاغة الشعريه.فيها الحكمه:

مـــا أصـــلها الأيـــام مظـــالم والعمـــر غمـــضة ثـــوانى
وأصـــبر علـــى جرحـــك وإن طـــــال الألـــــم

* * *

وفيها التفاؤل بعد اليأس وهى مخاطبة حبيبة على النفس:

تـــصبح حياتنـــا نغـــم و عـــــشنا يبتـــــسم
و تعـود مراكـب ريـدنـا لـــى بـــر الأمـــان

كان جمال اللحن والأداء الجيد عنصراً فاعلاً فى وضع هذه الأغنيه فى مقدمة ركب الأغانى الجميله لعثمان حسين.لم نمل تكرار سماع هذه الأغنيه على مدى السنين بل كانت تتجدد و تحلو بمرور الزمن فهى درة تنير هذا العقد الفريد من أغانى عثمان حسين، فهى شابه برغم ما مر عليها من زمن.

من أهم المحطات فى مسيرة عثمان حسين الفنيه ، أغنية لها وقع كبير في أذن المستمع السودني بل هي تخطت المحلية إلى العالمية وأعنى بذلك العالم العربي كأغنية صيغت كلماتها باللغة العربية الفصحى . وهذه الأغنية هي "أنا والنجم والمسا" كلمات الشاعر حسين بازرعة .عنوان الأغنية يرمز إلى معاني رومانسية في أبعاد جميلة وبليغة ، أنا .. و النجم .. والمساء وهو دليل على التأمل و حالة الشاعر . فهي من أعمال عثمان حسين في الستينيات و في زمن التنافس على الأعمال الجيدة . صياغة، فهي تحمل جماليات الشعر العربي الفصيح والأخيلة الرومانسية البديعة من الفكرة إلى الموضوع .ومن أهم عوامل النجاح لمثل هذه الأغنية تطابق اللحن والأداء مع الكلمات وهذا ماحدث فعثمان حسين استطاع أن يضع اللحن المناسب مع أدائه المتميز وكانت هذه الرائعه التي تتعمق كل يوم.أهتم بها النقاد كثيراً كمثل لأغنية فيها كل الجماليات التثقيفيه فكانت أغنية لجيل طامح لتناول كل ماهو جيِّد يدخل في بيوت المجتمع بدون حياء فقد كان تلاميذ المدرسة واساتذتها مثلّ حى لتناول القصيدة العربية الفصحى كما كان يدرسونها وكما كانت أيضاء أدباً رفيعاً للمثقفين وطربِ راقي لبقية المجتمع فالأغنية نصها يقول:

أنا والنجم والمساء

أنـــا والـــنجم والمـــسا ضـــمنا الوجـــد والحنـــين
جـف فى كأســى الرجـــا وبكـــت فرحـــة الـــسنين

* * *

أه ياشـــــاطىء الغـــــد أيـــن بللـــه موعـــدى

أين فى الليل مقعـدى

* * *

يـــا خطاهـــا علـــى الربـــى عطـــر أنفاســـها صـــبا
تحمـــل الـــشوق والـــصبا والخيـــــالات موكبـــــا

* * *

وأنـــــا كلمـــــا دنـــــا طيفهـــا الحلـــو وأنثنـــى

عادنى الهـم والضنـا

فى الـدجا شـاق مـسمعى صـوتها الملهـم النغـيم
فى الهـوى هـاج مـدمعى حبهـا الخالـد الاليـم

* * *

كلمـــــا لاح بـــــارق مـــن محيـــا خـــافق

مـات بالهـم عاشـق

إنهـــا رقيتـــى التـــى خلـــدت لحـــن شـــهرتى
أسرجـت ليـل وحـدتى بالأســـى والـــصبابة

* * *

يـــارؤى البحـــر أشـــهدى ههنـــا كـــان موعـــدى

وهنـــا كـــان مقعـــدى

معظم العمل الأبداعى يأتى عن طريق التجربة الصادقه وهذه الأغنية نتاج لتجربة صادقة.فالقصيدة كتبت فى جو شاعرى لعله بورتسودان حيث البحر وجمال الطبيعة وهى أيضاً موطن الشاعر بازرعه وأرض تجربته الحقيقيه ونحن نعيشها كما وصفها ولاندخل الى اسرار النفوس ولكننا نتجاوب كبشر لنا أحاسيس.يبدو الانسجام واضحاً بين الكلمات واللحن والأداء فعثمان حسين بذل مجهوداً مقدراً فى أبراز هذه المعانى الجميله بأطالاته المعهوده والتنوع فى أداء

الكوبليهات و اللزمات الموسيقيه المتفرده.فهى من الأغانى التى يمكن أن نباهى بها فى عالمنا العربى و التى قد يطرب بها كل العشاق كموضوع أساسى فى الأغنيـة العربية.ففيها الوقوف على الأطلال لأسترداد أجمل الذكريات والـشوق والحنـين ونداءٍ صريح :

يـــارؤى البحـــر أشـــهدى ههنـــا كـــان موعـــدى

هنـــا كـــان مقعـــدى

فلهذا الثنائى عثمان و بازرعه أجمل التهانىعلى هذا العمل الرائع .

والحقيقه أن أغانى عثمان حسين فى تلك الفتره وخاصة كلمـات بازرعـه كانت تتسم بنوع من الحزن العميق وفى تجربة تتجاوب مع مـشاعر المـستمعين فمحبى هذا الفن وُصفوا بأنهم عشاق و أصحاب تجارب عاطفيه مماثله و أحـسب أن هذا رأى أيجابى فى حقهم و ماأنبل المعانى الساميه هى.

ألأغنية التى تلت "أنا والنجم و المسا" اغنية وصفيه وصف الـشاعر حبـه وهى أيضاً عنوان ألأغنيه، "حبى" هى أيضاً من نظم حسين بازرعه.نص ألأغنيه يتسم بالحوار والحكمة الناتجه من تجارب الغير، فهى نصاً كما يلى:

حبـــي

عشقـتك و قالـــوا لـــى عـشقـك حـــرام
يا مجدد نور عيونى .. يـا مبـدد نـار شجونـــى
ليتهم عرفوا المحبـه ... وعرفـوا اسـرار الغـرام

* * *

عشقتك و قالوا لـــى .. تعشـــق وأيامك ربيع
تقضى ليلاتك مسهـــد .. وأبتسامتك دمـــوع
وزاد حياتك يبقى غيره ... وتطفى من عمرك شـموع
وتنسى عـشاق أغنياتـك...وتمـسى أفراحـك حطـام
لـــم يكـــن حبـــى متاعـــاً

لا و لا كـــــــــــــــان ألتياعـــــــــــــــاً
أو لقـــــــــــــــاء أو وداعـــــــــــــــاً

* * *

حبى نـــابع مـــن بـــلادى .. مـــن جمالهـــا وأنطلاقهـــا
أودعت حـــسن حبيبـــى ... مـــن صـــباها كـــل باقـــه
من صـــفاء الطيبـــه والكلمـــه ... الحبيبـــه والطلاقـــه
كل رعـــشة حـــرف فيهـــا .. ترجمـــت ســـر العلاقـــه
يـــاعوازل كيـــف تكـــون .. الـــدنيا لـــو عـــز الغـــرام

هى نظم جميل باللغة العربية الدارجيه.فيها حوار مع المقربين حول قـصة حبه وما قد يترتب عليه من حزن و أسى.الحوار فى القـصيده فـن لايجيـده إلا المتمكنين فى أدوات الشعر كما كان يفعل الشاعر العربى القديم عمرو بـن أبـى ربيعه.فالأغنيه كانت سجالاً جميلاً أبدع فيه عثمان حسين بوضع اللحن المناسـب لتخرج لنا أغنية حملت كل ما يلهب العواطف.

لعل هذه التجربة الجديده فى كتابة القصيده التى تعبر عن تجربة الشاعر وفى نفس الوقت هى أيضاً تعبر عن شعور الأخرين ويصادف هذا الـنص اللحـن والأداء المتميز. فقد كان هذا الاتجاه فى النظم يعتبر عملاً متكاملاً عند عثمـان حـسين و شعراؤه الذين أنتقى منهم خير ما كتبوا وأتى لنا بهذا الجميل من الفن.لقد كانت هذه الأغنيه من أغنيات فترة الستينيات التى شنفت آذان المـستمع الـسودانى بالكلمـة واللحن وكانت عملاً يعتبر من باب تحديات تلك الفترة فى التنافس من أجل أغنيـة رائعة.

أغنيات لم تسجل بعد

لم ينتهى التواصل بين عثمان حسين و شعرا ئه ، فلا زالت تصله القصائد، تأتيه من بعضهم و لعل أقربهم صلة هو الشاعر حسين بازرعه الذى هو دائم الاتصال بصديقه عثمان حسين ويرسل له من حين لأخر بقصيدة و لعل التى تم تلحينها بواسطة عثمان هى "أزمة ثقه" و قد قُدمت فى أحد البرامج التلفزيونية بالعود وهى لاشك رائعة كمثيلاتها من أغانى عثمان حسين، لحناً و أداء.القصيده جميلة المعانى،يخاطب فيها الشاعر نفسه و محبوبته و نصها يقول:

أزمة ثقة

لى وين مسيرنا ... و كيف مصيرنا
ومين عزيرنا ... إذا أنتهت بينا الثقه
و خطى مشينا على درب الهوى ... محسوبه في العمر البقى
أزمة ثقه لا بد نتعداها ... فى الخطوه الأخيره و نسبقها

* * *

صدقني يا مولاي وأجمل مناي ... ومشتهاي و منتقى
أنا لولا قسوة دهرى ماهاجرت ... ما فارقت دارى البعشقها
بس إنت ماجربت ظلم الدنيا ... ما عايشت ألوان الشقا

* * *

فى كل ليله أشيل صباباتى ... وأذوبها فى قصيده منمقه
بتخيلك فى رحلة الغربه الطويله ... تطلي عليَّ كسنبله
سوت بنانها و طرزت أكمامها ... من وهج الشموس المشرقه

* * *

هل ترى هانت عليك أشواقى ... هانت ذكرياتنا الشيقه
سامحنى يا أغلى الحبايب ... لو ظروفى قست و عزَّ الملتقى
أنا فى أشتياقى الطال ووحشة عمرى ... ما فكرت فى غيرك حبيب
فى كل يوم نارى تتوقد و تتجدد ... و ما يهدى الوجيب

* * *

حتى السهر من سهرى ضاق ... وأحتار من صبرى العجيب

بستنى لم يجينى مـــن طرفـــك حـــرف ولهـــــان مـــــضمخ طيـــــوب
يجلى الاسى عن صدري ويمنحنى الرضى ويسقينى مـــن معنـــى ســـقوب
يانجمة الشوق المحلقـــه فـــى ســـماي وعينـــى عنـــك مـــا تغيـــب

من عمرى شيلى كـــم ســـنه و أدينـــى بس ساعة هنا و مجلس طروب
وعريشه خـــضرا تـــضمنا أنـــا وأنـــت فـــــى الآتـــــى القريـــــب
فأنا نسجتك من خيالى ومـــن يقينـــى ومـــن ســـنا فكـــرى الخـــصيب
ومضة أمل تجمعنا فى شـــهر العـــسل ترعانـــــا حبـــــات العمـــــر

وهكذا عودنا حسين بازرعه على جزالة الألفاظ و المعانى الجميله و الخيال الواسع والحس المرهف.فالقصيده فيها نفس أفكار تجربته الثره وأمتـــداداً مجـــسداً لتجربته العاطفيه. فإنها تحكى عن الماضى و كيف كان يتمنى الشاعر أن تكـــون النهايه.عثمان حسين أحب هذه القصيده و ذكر لى بإنها من رصيفات أغنيات القمه من شعر بازرعه .أتمنى أن يقوم عثمان بتسجيلها قريباً فلقد طال صبر الجمهـــور لسماع مثل هذه الأغانى .لقد ذكر لى عثمان حسين أن الشاعر حسين بازرعه قـــد أحدث طفره و نقله كبيره فى الشعر الغنائى السودانى و إنها مدرسة قائمة بذاتها و إنه يدين له با لكثير على النجاحات التى حققها فى مجال تطور الأغنيه السودانيه.

و القصيده الأخيره لحسين بازرعه هى باللغة العربية الفصحى وهى بعنوان "الحب فى زمن الخريف" وهى تدل على تمكن الشاعر من أدواته ومعرفته الجيـــده بنظم الشعر العربى وبحوره.وبازرعه سبق وأن نظم قصائد مثلها و بالفصحى مثل "أنا والنجم والمساء" وأثبتت نجاحها بكل المقاييس كأغنية سودانية عربية خالصة خرجت بالأغنية السودانيه من نطاق المحلية الى العالم العربى.

وللقارىء أن يقارن بين النصين ليستطيع أن يحكم على جمال الـــنص فـــى هذه القصيده التى نتمنى أن يقدمها عثمان فى نفس المستوى الذى قـــدم بـــه تلـــك الروائع من أغنياته من شعر بازرعه.و إليك النص:

الحب فى زمن الخريف

لنبـــدأ معـــاً يـــاحبيبى الحكايـــه ... أتذكرها أم نـــسيت البدايـــه
بـــدأت أنـــا مـــشفقاً مـــستهاما ... ولم يبقى فى العمر إلا بقايـــا

* * *

وأنت أتخذت مـــن الحـــب مـــسرى ... يقود لمغزى و يمضى لغايـــه
تمنيـــت و العمـــر أضـــحى خريفـــاً ... رجع الشباب و روح الصبايا
وعـــشاً هنيئـــاً يـــضم شـــتاتى ... ويسعدنى بالرضا و الرعايه
وأنـــت معـــى تـــستثير شـــجونى ... تجدد روحى و تمحو أســـايا
هو الحـــب فـــى الكـــم كـــم ندعيـــه ... ونغرق فيه و نهفـــوا إليـــه
فـــإن زارنـــا غفلـــة و أ حتفينـــا ... سكبنا المشاعر فى راحتيـــه
ونهـــرب منـــه إذا مـــا تمـــادى ... وإن غاب عنا بكينـــا عليـــه

* * *

دعوتـــك بـــالأمس كـــى تلتقينـــى ... تخيلتهـــــا أن تطـــــول
وهَمـــت نفـــسى إنـــك آتـــى ... وإنـــك لـــن تلقـــانى بـــديلا
وطـــال إنتظـــارى لعـــل الرســـول ... يزف الى الرضـــا و القبـــول
فيـــا قاتـــلاً أزف بـــك الرجـــاء ... أيرضيك حقاً أن أكون القتيل

* * *

فلمـــا ألتقينـــا تراخـــى لـــسانى ... وأوجف قلبى و شلت يـــداى
فـــلا أنـــا قلـــت و لا أنـــت بحـــت ... وكان مصير اللقاء النهايـــه
ولـــم نملـــك حتـــى نقـــول وداعـــاً ... ونكمل سوياً فصول الروايـــه

يحدونا كل الأمل أن نسمعها قريباً فإن عثمان حسين لازال عنده القدرة على العطاء وهو إنسان ملىء بروح التفاؤل والقدره على ألأتيان بالجديد.

مجرد رأي في الفن السودان قديمه وحديثه

كانت الإمكانيات بسيطة ولم يكن الإنجليز لديهم أي إهتمام بتطوير الأغنية السودانية وإنما كان الإهتمام من جانب أهل الفن فقط. إهتم الفنانون بفنهم وعند قيام الإذاعة ووجود أوركسترا كان الإهتمام كبيراً من جانب الأوكسترا في تطوير العزف على الآلات الموسيقية.

نلاحظ في التسجيلات القديمة أن الصوت كان أكثر وضوحاً من التسجيلات الحديثة برغم أن التكنولوجيا قد تقدمت كثيراً في هذا المنحى والسؤال هنا لماذا نجد هذا الفرق؟ أيضاً كانت الإذاعة السودانية مسموعة في كل أنحاء المعمورة والآن لا نستطيع سماعها حتى في الأقطار المجاورة. إستطاع الفنانون القدماء تسجيل أغانيهم معتمدين على تكنولوجيا صوتية متأخرة جداً ولم تنافس التسجيلات الحديثة تلك القديمة.

أعلى درجات الرقي في المجتمع هو الإهتمام بالآداب والفنون. في اليابان نجد أن الدولة اهتمت كثيراً بالفن والأدب وبنت قصور للثقافة في كل المدن لكي يستفيد منها الشعب في تعلم الموسيقى والإرتقاء بالفنون . في السودان لم تهتم الدولة كثيراً بالفن وأهل الفن أغلبهم لا يجدوا شيئاً يغتاتون منه بل بعضهم مات من الفقر والمرض بدون معاش أو أي إهتمام من جانب الدولة . أغلب فنانين السودان القدامى كانوا هواةً ولا يكسبون شيئاً من فنهم . حقوق الفنانين ضاعت خاصةً حقوقهم المادية فقد دُفعت لهم في وقت وكانت لا تساوي شيئاً والآن معظمهم لا يستطيع أن يتحصل على أي حق من تلك الأعمال بالرغم أنه في كثيرٍ من البلدان هذه الحقوق المادية تستمر في سند الفنان مادياً طول عمره لأنه ليس له معاش ثابت.

كان العمل النقابي متمثلاً في نقابة الفنانين التي أسست في بداية الخمسينيات من القرن الماضي هدفها حفظ حقوق الفنانين المادية والأدبية وخاصةً في مواجهة الدولة التي تحتكر تسجيل هذه الأغاني . لا شك أن النقابة أسهمت كثيراً في تحسين الأوضاع العامة للفنانين لكن علاقة الفن بالدولة تحتاج إلى تطوير في الإتجاه الذي يضمن للفن إستمرارية واستقرار وتشجيع لكل المبدعين في طريق

عثمان الشفيع
(كون ثنائي مع الشاعر القرش)

الشاعر مصطفى بطران

جلوس من اليمين : الشاعر احمد عبد الرحيم العمري
عبد الرحيم الامين – الفنان محمد أحمد سرور
جلوس : عازف الأكورديون – وهبه
وقوف : أبو الجود وعلي (الشايقي) و بقية شيالين فرقة سرور

الفن ، بالنسبة لقضية الفن الأداء الحديث وموضوع معهد الموسيقى والمسرح . يجب أن نعترف بأن هذا المعهد قد أسهم كثيراً في ترقية وتطوير الفن السوداني . فالدارسون للموسيقى هم أقدر في أن يضيفوا شيئاً جديداً وعلمياً ومدروساً لأن الموهبة وحدها لا تكفي فدراسة الموسيقى والعزف وتعلم النوته الموسيقية وعلم الأصوات هي المفتاح الحقيقي للتقدم في الفنون الغنائية .

لا شك أن المردود الثقافي لنشر الثقافة الموسيقية له إيجابيات كثيرة ومنها إمتصاص الطاقات الفائضة عند الشباب وإكتشاف المواهب المدفونة.في السابق كانت تلعب الموهبة الدور الأساسي في تحريك الملكة عند الفنان والذين أخذوا على عاتقهم قضية الفن كانوا من الموهوبين الذين يجدون رفضاً كبيرا من المجتمع حولهم. فقد كان الفنان في السابق شخصاً منبوذاً في المجتمع وكان بعضهم يرى أن أهل الفن من الساقطين إجتماعياً ويسمونهم الصياع ولا يجدون أي إحترام من حولهم بل زجر متواصل . أدى هذا في النهاية إلى هجر هذه المدينة الفاضلة أمدرمان إلى هجرةّ إلى غرب كردفان ومدينة الأبيض بالذات حيث كان المجتمع أرحم من مجتمع أمدرمان المحافظ . فكان أن إجتمع في مرة واحدة في كردفان : الشاعر إبراهيم العبادي ، الشاعر عبد المطلب حدباي ، الشاعر سيد عبد العزيز، الشاعر حميدة ابو عشر والمطرب علي الشايقي وكلهم نازحون من أمدرمان للعيش في مدينة الأبيض التي كان بها مجتمعاً لا يزال ينظر إلى الفن الغنائي نظرةّ أكثر تطوراً ومفهوميةً من نظرة مدينة أم درمان في ذاك الزمان.

الغزل العفيف (ظلموني الأحبة)

كان الشاعر حميدة احمد عثمان (أبو عشر) وهو كان يعرف بحميدة أبو عشر لأن مسقط رأسه في مدينة أبو عشر في الجزيرة . وقد كان صديقاً للفنانين الخير عثمان ، عبد الحميد يوسف ، الكاشف ، حسن عطية وعثمان حسين .

عمل الشاعر حميدة أبو عشر فترةً كنجار في مدرسة حنتوب الثانوية وكان معروفاً لكل الطلبة الذين كانت لهم ميول لكتابة الشعر فكان يقرأ أشعاره لهم وكانوا يعجبون كثيراً من جزالة لفظه وبلاغة شعره . كانت الأغنيات الأولى التي نظمها من حظ الفنان الخير عثمان (فنان الجزيرة) ، ولا ادري إن كانت تلك الأغنيات لازالت مسجلة في الإذاعة أم قضي عليها كما حصل في السابق. الفنان عبد الحميد يوسف غنى له الأغنية الشهيرة (غضبك جميل زي بسمتك) وحسن عطية غنى له (محبوبي لاقاني) والكاشف غنى له (وداعاً روضتي الغناء). أما عثمان حسين فقد غنى له رائعته (ظلموني الأحبة) وقال لي عثمان حسين " قابلت الشاعر حميدة أبو عشر وتعرفت عليه وكنت أزوره في نادي العمال بالخرطوم ومنحني قصيدة (ظلموني الأحبة) وكانت أغنية ناجحة جداً وعندما عدت إلى نادي العمال لأقابله علمت بأنه غادر إلى مدينة الأبيض حيث أمضى فترةً السجن هناك نسبةً لنشاطه السياسي في نقابة العمال".

كان حميدة أبو عشر نقابياً كبيراً ومناضلاً جسوراً ضد الإستعمال الإنجليزي وتمت محاكمته ونفيه إلى مدينة الأبيض التي عاش فيها زمناً طويلاً . عرف الشاعر حميدة أبو عشر بالغزل العفيف الرقيق ويعمد بالأتيان بأجمل التعابير ولا شك أن أغنية (ظلموني الأحبة) من الأغنيات التي وجدت مكانها وسط روائع الأغاني السودانية وأغاني عثمان حسين الأثيرة لدى الجماهير السودانية وإليك النص :

ظلموني الأحبـــة

ظلمـــــوني الأحبـــــة　　في شرع المحبة ظلموني

****

الأحبـــــاب تجنـــــوا　　وفـــي الأحكـــام جـــاروا
بقيـــــود المحبـــــة　　ملكـــــوني وتـــــواروا
لعينـــــي أبكـــــوا　　ظلمـــــوني وتـــــشكوا
فـــي إخلاصـــي شـــكو　　إخـــلاص حبـــي ظـــاهر

للحرمـــوه حـــب

****

أنـــا الحـــافظ ودادهـــم　　علـــى رغـــم التجـــافي
أنـــا المظلـــوم وراضـــي　　أنـــا المهجـــور ووافـــي
نـــــسيان لـــــو أود　　أو جـــافوني وصـــدوا
حـــافظ قلبـــي عهـــده　　أنا في مـــذهب غرامـــي

سلوى الحـــب مسبـــه

****

أنـــا ضـــيعت عمـــري　　فـــي الحـــب والأمـــاني
لا جـــادوا الأحبـــه　　ولا تعطـــر زمـــاني
قاســـيت الـــصبابه　　تبريحهـــا وعـــذابها
أســـباب إلتهابهـــا　　كلمـــا ذكـــرى طافـــت

قلبي سعيـــره شـــبَّ

كلمات سهلة وبسيطة وتعابير جزلة . عثمان حسين نجح في وضع اللحـــن المناسب لها وقدمها في أجمل صورة وعثمان حسين كان يود أن يواصل المشوار مع الشاعر حميدة أبو عشر ولكن ظروف الشاعر الخاصة لم تـــسمح بمواصـــلة المشوار .

أغنيات أثيرة عند الجمهور

مـــالي والهـــــوى

مالي والهـــوى ... أنا ... مالي

* * *

سألت عليـــــه ما أتكلـــم
لا ردّ علـــىّ لا سلـــــم
ظلمني وجـــاني يتظلـــم
سلاني وقال أنا الســـالي
مالي والهـــوى ... أنا ... مالي

* * *

عيونه الحلـــوه ألهامي
نعمي وسعـــــد أيـــامي
ملك صحوي وأحـــلامي
وأصبح حالي غيـــر حالي
مالي والهـــوى ... أنا ... مالي

* * *

ربيعي ودنيـــــا أزهـــاري
وجدي .. وحدي .. وناري
شغلنـــي ليلـــي ونهـــاري
وفرحـــان بإنشغـــال بالي
مالي والهـــوى ... أنا ... مالي

* * *

بكل جـــراحي أهـــواه
وأحب الدنيـــــا لهواه
أفكر مـــــره أنســـاه
أعيد من تـــأني آمـــــالي
مالي والهـــوى ... أنا ... مالي

لا تسلني

لا تسل عن ليـــالي يـــا حبيبـــي ..لا تـــسل
لا تسلها فهي حلـــم عـــابر طـــاف بـــذهني
لا تـــسلها كـــم تعانقنـــا عـــن رقـــة لحـــن
وقـــضينا الليلـــة الأولـــى حـــديثاً وتمنـــي

****

لا تـــسل عنـــي ليـــالي فقـــد بتنـــا حطـــامى
كـــم حرقناهـــا شـــعوراً وأمـــاني وغرامـــا
وســـل الـــشاطئ لمـــا كنـــت ألقـــاك دوامـــا
ونـــذيب الليـــل همـــساً وعناقـــاً وملامـــا

****

يا حبيبـــي أنـــت ألهمـــت أغـــاني وجرســـي
أنت في وحـــشة أيـــامي نـــدى أورق أُنـــسي
أنت في عمري ربيعـــاً دافـــئ يمـــلأ نفـــسي
أفلا عدت وعـــادت قـــصة الحـــب كأمـــسي

أوراق الخـريف

يـــا ليـــالي المـــصير قـــولي لخلنـــا
أوراق الخريـــــــف ثـــارت حولنـــا

****

يـــا ليـــالي الرجـــاء عـــودي علنـــا
إن لاح الـــــضياء يبـــدو ظلنـــا
فـــي عـــرض الـــسماء وفـــي دنيـــا المنـــا

****

يـــا ليـــالي الأمـــل قـــولي لخلنـــا
البـــدر إكتمـــل والـــدنيا ســـنا
لا الجـــرح إنـــدمل لا عطفـــك دنـــا
هنـــاك أنـــت وأنـــا هاهنـــا

أنـــا في الضنـــا

****

يـــا ليـــالي المنـــى هـــل مـــا فـــات عـــاد
هـــل أحبابنـــا علـــى عهـــد الـــوداد
هـــل إنـــت وأنـــا كلنـــا فـــي الـــسهاد

ســـواء كلنـــا

الخاتمـــة

عزيزى القارىء هذا هو الكتاب بين يديك يحوى كل ما تمكنت من جمعه من معلومات إتمنى أن تكون قد أفادت حركة التوثيق لتراثنا الغنائى فى حقبه المختلفه. وأيضاً أرجوا أن تكون قد أضافت معرفة بالفنان عثمان حسين و فنه الرائع و مسيرته الفنيه الزاخره المثيرة بكل الأحداث.

فعثمان حسين شجرة شامخة فى غابة الأبداع فى الفن الغنائى السودانى حيث لا يستمر فى الحياة فيها إلا الجزع المتين، فالابداع الفنى لا يخلد إلا إذا تأسس على جذورٍ ثابتة و متينه .فأغنية عثمان حسين عاشت نحو خمسون عاماً و لا زالت تنتقل من جيل الى جيل بنفس الروح التى بدأت بها أو كأنها ألفت قبل يوم واحد من تاريخ سماعها فى الوهلة ألأولى ولماذا يحدُث هذا الشعور؟ فهذا سؤال يتبادر الى ذهن الكثير من المستمعين لهذه الأغنيه و لعلى أجد الأجابة فى هذا– إن هذه الأعمال كانت سابقه لزمانها فكلما يمر الزمن يزداد الفهم لها وتنجلى بعض الحقائق الفنيه ألأبداعيه.فالأعمال التى قدمها عثمان حسين كانت مكتملة فنياً من قصيدة ولحن وأداء ولاتحتاج إلا الى تجديد فى الأداء الموسيقى كما فعل هو أخيراً فى إعادة توزيع بعض أغانيه القديمه.فقد كان فى السابق ضعف ألإمكانيات الموسيقية يقف حائلاً دون إظهار كل الجماليات فى الأغنية السودانيه ولكن فى عصرنا هذا قد حدث تطور كبير فى التأليف والأداء الموسيقى.وأما فى هذا القرص الذى فى معية هذا الكتاب، فإنك سوف تجدُ توزيعاً جديداً لهذه الأغانى القديمة بأستعمال الألات الموسيقيه الحديثه.

أرجوا أن يجد القارى مادة شيقةء برغم بعض القصور و رغم الجهد الذى بذلته وأتمنى أن أتلافاه فى الطبعات القادمه بتنقيح مايستوجب ذلك، فلا شيىء كامل فى هذه الدنيا فالكمال لله وحده.وأرجوا ألا يصيبنا الغرور فى ما أتانا الله من مقدره أو موهبه.

لقد وجدتُ معاناة كبيرة فى إخراج هذا الكتاب ولكنى تجاوزتها كلها بالإصرار على أكماله تحت كل الظروف والمعوقات فإن جمع المعلومات

والنصوص الشعريه و تمحيصها وتحقيقها ليس بالشيء الساهل فهى تحتاج الى جهد كبير.كان من المفترض أن يكون الكتاب أكبر من ذلك و لكن أصدقائى نصحونى أن أقف فى هذا الحد وتوسيعه فى الطبعات القادمة إن مد أله سبحانه وتعالى فى العمر.وما توفيقى إلا بالله.

كلمة الأستاذ الشاعر حسين بازرعة

أخي العزيز نادر :

تأهبت للحديث إليك في الهاتف ، فإذا بالمفاجأة تأخذني على أمر لـم أكـن أتوقعه لأجد أن هاتفي معطل .. وهذا هو سبب تأخري عن الحديث إليك ، فمعذرة ولك العتبى حتى ترضى .. ولكن المثير في الأمر أن شيئاً برق في ذهني لأقـول هذه الأبيات :

أيها الأخـرس الأصـم تكلـم	ما لا ذنبك سرت لـست أفهـم
صامتاً ما تزال هل من جديـد	يقرؤ النفس بالـسرور ويـنعم
رب إيماءة من القـول تغنـي	والقليل المثير يـصبح أعظـم
كيف بـالله اصـطفيك وتـأبى	مر سـبابتي عليـك .. لأزهـم
أن تكن قد سئمت فاصبر قليلاً	كلنا من رتابة العـيش نـسأم
عبر أسلاكك الرقـاق تناغـت	لغة العشق من فصيح وأعجـم
فـشفاه آثـرن بـوح شـقاه	بحديث من الجوى .. لا يترجم
بعضه هامل وبعـض جـرئ	فاضـح وآخـرٌ مـبهم
اجتلى سـرَّه نـديم .. قـديم	وحبيب ببعض شـعري تـرنَّم
شاقني صوته النـدي مـراراً	وهو في السعد يستطيب ويـنعم
نحن في الدار كأثنـان ولـولا	سُنة الخلـق لاتخـذتك تـوأم
أنا مصغ لهاتف منـك يـأتي	وبـه يبـدأ الـسلام ويُخـتم

تحياتي لك وشكراً لما أبديته نحوي .. وليكن كتابك الجديـد فتحـاً لكتـب أخرى ودمت لأخيك .

حسيـن بازرعـة

بورتسودان 2008/4/7م

عثمان الفنان الأصيل

لم يطاوعنى القلم لفترة طويله حين أردت أن أكتب عن الفنان الانسان عثمان حسين فهو واحد من القمم السامقة فى دنيا الطرب الرفيع و الغناء الراقى.

عثمان حباه الله بحب الناس لأنه قبل ان يكون مطرباً وفناناً فهو أنسان بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانى وطيلة حياته العامره، فقد عرفه الناس وفياً صادق الوعد حلو المعشر جميل الصفات لم يغضب من احد فقد كان ودوداً يحفظ الجميل ويزرع فى الناس المحبة لأن ماتغنى به الفنان المبدع و الموسيقار وأستاذ الاجيال عثمان يعتبر تراثاً قيماً يعبر فى صدق عن قيم هذا الشعب و اصالته والتى تغنى بها عثمان فى أغانيه الخالده و المحبه للناس.

فقد تميز هذا الفنان العملاق بصوت شجى ساحر من الصعوبة بمكان تقليده فهو متمكن من تطويع صوته الاخاذ ولذلك استطاع ان يطوع الكلمات و الموسيقى ليقدم للمستمعين و محبى فنه أجمل المقاطع و أحلى الكلمات فى عمل غنائى وموسيقى متكامل و أختياره لكلمات الاغانى لم يكن بمحض الصدفه فقد أنتقى لشعراء مبدعين اجادوا الوصف و احسنوا ترتيب الكلمات.

التى لن تتكرر فهو واحد من جيل العمالقه المبدعين الذين يعدون على اصابع اليد الواحدة و له رصيد لا ينضب معينه من الاغانى الراقيه و المتميزه.

فقد جمع عثمان حسين كل الخصائص و الخصال الجميله و التى أكسبته روعة و خلوداً و جمالا فى نظر كل الناس . أمنياتى للفنان العملاق بطول العمر و دوام الصحة ليثرى الساحة السودانيه مثلما أمتعنا بفنه الراقى.

عميد (م) :
عبد الرحمن حسن عبد الحفيظ

كلمة طيبة

والجواب نص المشاهدة

بقلم عبد المطلب الفحل

أخي العزيز أبو عفان ...

حين طلب مني الأخ (الحبيب) نادر أحمد الشريف الحبيب أن أكتب كلمة في السفر الذي كتبه عنك سعدت جداً:

أولاً لأنه تقدير لك وأنت أهل لذلك ، وثانيا لأن في ذلك تقديراً لي فالشكر له ولله من قبل ومن بعد.

ولكني – يا أبا عفان – تساءلت في نفسي :

ماذا أكتب وماذا أقول ؟ هل أكتب عن مقاشي التي أنجبتك وأنجبت الأستاذ أحمد خير المحامي و(بتدخير) الشاعره التي في نطق أسمها نفسه فن عند أهلنا في الشمال ، فهي أسمها بت ود خير ولكن تم (عَجَم) الكلمات فأصبحت (بِتَدْخير)! مقاشي التي كنا نتحرك من الزومة الى سوقها كل يوم سبت جوار (جبَّانة الحاج ود خير) حيث نرى عمنا الصلحابي (عمدة السوق). الصلحابي الذي جاء ابنه السر الى أم درمان الثورة وأصبح أسمه علماً بمحطة (الصلحابي) ، مقاشي التي أنجبت من الشخصيات التي لا يتسع المجال لذكرها في هذه العجالة!

ام هل أكتب عن كريمة وقطر كريمة جبت (شريت الجبنة بالسكر : قهوة تعافي تطفي الشر) وذلك بعد أن (قعد في بابا وإتحكَّر) أم هل أغادر معك الى محطة (أم غربان) وهل (أدَّوها خبر؟!) أم هل أكتب عن (الخرتوم) التي ضمتك وعشت بين حناياها فكنت (البلاَّل) عثمان حسين!

هل أكتب عن أناملك التي (تنقرش) العود في إبداع وتطريب يحرك المشاعر ويهز الوجدان كما في كلمات العزيز قرشي محمد حسن (اللقاء الأول) و(الفراش الحائر) التي حيَّرت بها العقول والألباب وأوبت المشاعر!

أم هل أكتب عن صوتك الجميل وأنت تشدو للجمال والحسن في (عيون العبيد) و(ناس لالا) في (الوكر المهجور)!

ترى – يا أبا عفان – هل (مات الهوى) أم (نابك إيه في هواه)؟!

أم هل أسأل (قلبي الحزين)؟!!

أخي أبو عفان : (لا تسلني)

ولكن كما قال العزيز بازرعة (سل الشاطئ لما كنت ألقاك دوماً) إنني – يا أبا عفان –) أحب هذه البلد العزيزه لأن بها (تراث الكرام ومجد العرب ، وتاريخ شعب رونه الحقب). أنا مثلك (حبي نابع من بلادي ، من صفاها وانطلاقاً ، من صفاء الطيبه والكلمة الحبيبه والطلاقه).

ولكم تبتلت مع الشاعر / التجاني يوسف بشير في (محراب النيل) لأنك (نبيل موفق) في أختيار الكلمه وصياغة اللحن وحسن الأداء في (أجمل أيامي). وسوف نسير معاً – إن شاء الله – مع الأستاذ محمد يوسف موسى في (الدرب الأخضر)!

إن كل منها يستمع إليك يعيش لحظة وجد وراحه بال وهو يردد معك ومع الشاعر عبد الرحمن الريح:

إن أردت هلاكي تجدني من فرسانك

وإن عطفت عليَّ فذاك من إحسانك

ترى ماذا أقول أخيراً؟

هل أقول لك (ودعتك) أننا لن نفترق بل سنكون معاً عبر الكلمة والنغم فأرد مع الشاعر السر دوليب (ما بصدقكم)!

وفي الختام لا أقول لك (مالي والهوى) ولا(لالا) بل (سأظل أحبك) كما قال بازرعة ونردد معاً:

كل طائر مرتحل عبر البحر قاصد الأهل حملته أشواقي الدفيقه

،،، ولك تحياتي وحبي ،،،

أخوك المخلص خالص

عبد المطلب الفحل جدَّنْ!

يناير 2001م

عثمان الذي عرفته

(محمد يوسف موسى)

الحديث عن الفنان الكبير الموسيقار عثمان حسين حديث بطول ويتشعب ..فهو فنان شامل ... عازف ... ملحن... مطرب... كما أن الحديث عنه يحلو لأن من يعرف عثمان يدعو الى الفخر ويبعث على السعادة ...

عرفت عثمان حسين ... وأنا في بداية المرحلة الإبتدائية .. فقد كانت أغنية "الفراش الحائر" نقطة تحول في مسار الأغنية الحديثة .. ونقطة تحول كبيره وملفته لا يمكن أن يتخطاها التاريخ .. أو أن يغفل عنها الزمان والمكان... فقد ترنمنا بموسيقاها الجديدة على الأذن السودانية ... ورددنا كلماتها .. دون فهم وإدراك لمعناها . بصورة ملؤها الدهشة .. والعجب والإعجاب ... كلام جميل وغريب على الأذن .. ولحن أكثر غرابة ... وأكثر طرباً وبهاءً أقتحم به عثمان الأذن السودانية التي إعتادت على ألحان التم تم واللحن الواحد الذي تبدأ به الأغنية وتختتم به...

وكانت بعدها "محراب النيل" و"لا تسلني" مروراً بـ(شجن) و"شتات الماضي" وريدتنا ومحبتنا" وغيرها من الروائع...

وفي عام 1968م كان لقائي به لأول مرة في كلمات "الدرب الأخضر" التي أحالها الى لحن نابض بالحياة الخضراء الزاهية... عكست مشوار الحياة... وعمر الحب النضر .. البهيّ ... الممتلئ حيوية وحركة... فكانت هي الأخرى لقطة تحول بالنسبة لي كشاعر ... لفتت اليَّ الانظار بحسبان أني أصغر شاعر تغنى عثمان حسين العلاق بشعره... لفت اليَّ انظار الفنانين الذين سبقوه والذين زاملوه ورافقوه والذين أتوا من بعده ... فقد ارتبطت أكثر بالفنان الكبير الرائد إبراهيم الكاشف... وكان هناك وعد بيني وبينه بأن أهديه إحدى قصائدي ليلحنها ويتغنى بها ولكن كان إنتقاله الى جوار ربه أسرع ... وكان هناك وعد أخر بيني وبين الراحلين حسن عطيه وأحمد المصطفى ... وسيد خليفه رحمهم الله ...

ثم عثمان غنى لي "الدرب الأخضرو" للشاعر الراحل عثمان خالد " أحلى البنات" وللشاعر محمد سعد دياب " رسالة شوق" والتقى بي مرة أخرى في "تسابيح" أو "وحات عينيك ما تزعل" التي لحنها له الموسيقار المجرد عبد اللطيف خضر كأول لحن يتغنى به عثمان حسين لملحن... وتغنى لي مؤخراً بأغنية "هو الحب كده" .. أو "أغريتني" كما هو مسجل الأن بالأذاعة كآخر أغنيتين تم تسجيلهما للإذاعة .. وهناك لقاءات أخرى بإذن الله ....

ولأن الحديث عن عثمان حسين يطول ويتجدد فإني أعد القارئ بأن أكتب باسهاب وتفصيل كتابه وآراء معجب ومفتون بفنان قامة فارهة ... مونقة ... وزاهية ... ومتألقة أبداً... فله التحايا العاطرات وله الأمنيات الندیات والأمل بموفور الصحة والعافية ليبدع أكثر ويعطي ويجزل للأغنية السودانية وهي تتنفس عافية ورواء ... وإشراقاً .... ونداوةً وطلاوةً لا تحدها حدود ..

محمد يوسف موسى

مجموعة أغاني عثمان حسين

الرقم	الأغنيـة	الشاعر
1.	حارم وصلي مالك	محمد البشير عتيق
2.	اللقاء الأول	قرشي محمد حسن
3.	خمرّة العشاق	قرشي محمد حسن
4.	الفراش الحائر	قرشي محمد حسن
5.	لم أزل	محمد البشير عتيق
6.	القبلة السكرى	حسين بازرعة
7.	الوكر المهجور	حسين بازرعة
8.	ليالي القمر	حسين بازرعة
9.	كيف لا أعشق جمالك	على محمود التنقارى
10.	ظلموني الأحبة	حميده أبو عشر
11.	ذكري	محمد البشير عتيق
12.	يا ناس لا لا	عبد المنعم عبد الحي
13.	أوراق الخريف	عبد المنعم عبد الحي
14.	ندامى الراح	عبد المنعم عبد الحي
15.	ألمتنى	إسماعيل حسن
16.	حبيبي جفا	إسماعيل حسن
17.	أنا وحدي طول الليل	السر دوليب
18.	غرد الفجر	حسن عبد الله القرشي
19.	في محراب النيل	التجاني يوسف بشير
20.	طيبه الأخلاق	خضر حسن سعد
21.	حبـــي	حسين بازرعة
22.	أنا والنجم والمساء	حسين بازرعة
23.	إن تريدى يا ليالي	خليفه خوجلي

24.	مات الهوى	صلاح أحمد محمد صالح
25.	زيدني في هجراني	عمر البنا
26.	عارفنه حبيبي	إسماعيل حسن
27.	مات الهوى	صلاح أحمد محمد صالح
28.	لا وحبك	حسين بازرعة
29.	من أجل حبي	حسين بازرعة
30.	شجن	حسين بازرعة
31.	المصير	حسين بازرعة
32.	أجمل أيامي	حسين بازرعة
33.	أنت لي	حسين بازرعة
34.	لا تسلني	حسين بازرعة
35.	من عيونك يا غزالي	عبد الرحمن البلك
36.	وحياة عيون الصيد	حسين عثمان منصور
37.	وداعاً يا غرامي	صلاح أحمد
38.	نابك أيه في هواه	صلاح أحمد
39.	أمانة	على شبيكه
40.	مالى و الهوى	السر دوليب
41.	قلبي فاكرك	السر دوليب
42.	مابصدقكم	السر دوليب
43.	ريدتنا ومحبتنا	السر دوليب
44.	كفاية أنا عايش براي	السر دوليب
45.	ودعتك	رحمي سليمان
46.	أرضنا الطيبة	حسين بازرعة
47.	عرس الدم (لم تسجل)	حسين بازرعة
48.	قصتنا	حسين بازرعة

49. لا تقلها (تحت التلحين)	حسين بازرعة
50. داوم على حبك	السر دوليب
51. شتات الماضي	عوض أحمد خليفه
52. عشرة الأيام	عوض أحمد خليفه
53. ما تخلي قلبك معاي شويه	عوض أحمد خليفه
54. نوره	عوض أحمد خليفه
55. خاطرك الغالي	عوض أحمد خليفه
56. أحبك	محجوب سراج
57. أوعديني	الزين عباس عماره
58. الدرب الأخضر	محمد يوسف موسى
59. تسابيح	محمد يوسف موسى
60. أحلى البنات	عثمان خالد
61. الحب كده	محمد يوسف موسى
62. رسالة شوق	محمد سعد دياب
63. أنا بعشق أمدرمان	على محمود التنقارى
64. بعد الصبر	حسين بازرعة
65. ذكرتني	حسين بازرعة
66. أزمة ثقة (لم تسجل بعد)	حسين بازرعة
67. ليالي الغرام	صلاح أحمد محمد صالح
68. الحب في زمن الخريف	حسين بازرعة
69. صدقينى	عوض أحمد خليفه
70. إنت أول غرامي	محمد البشير عتيق
71. حبيبي سافر ليه	محمد البشير عتيق
72. نشيد البرلمان	حسين عثمان منصور
73. سوداني الغالي	السر دوليب

74.	الملايين	محمد الفيتوري
75.	يا جاره	على محمود الفاتح
76.	الإشتراكية	فضل الله محمد
77.	المبايعة	مصطفى سند
78.	العوده لليرموك	صلاح أحمد إبراهيم
79.	ليالي الغربة	إسماعيل حسن
80.	صرخة الشوق	عوض أحمد خليفه
81.	ربيع الدنيا	عوض أحمد خليفه
82.	أرويني	السر دوليب
83.	ليه تسيبنا يا حبيبنا	الجيلي عبد المنعم عباس
84.	ذكريات	حسن حامد البدوى
85.	الفريد في عصرك	عبد الرحمن الريح
86.	ما رأيت في الكون	عبد الرحمن الريح